



أخبار الراضي بالله

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: قد فرغنا - والله الحمد - من ذكر أخبار القاهر والأحداث في أيامه، ونحن نذكر الآن بيعة الراضي بالله وما كان من أمره والأحداث في أيامه إن شاء الله.

ولما خلع القاهر في يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة - أخرج الحجرية والساجية محمد بن المقتدر بالله، ويكنى أبا العباس، وأمه أم ولد يقال: لها ظلوم، في هذا اليوم على ثلاث ساعات من النهار، وكان في الخلافة هو وأخوه هارون على سبيل توكل بهما من القاهر، فأجلسوه على السرير، وبايعوه بالخلافة مختارين له، مجتمعين عليه من غير أن يواطئهم على ذلك، ولا كانت بيعتهم مراسلة فيه إلا ما كان يعلمه من كراهيتهم لأمر القاهر، وأنهم في وحيه عليه^(١).

وتولى التدبير في ذلك رجل من الساجية يعرف بسبب المناخلي، إلى أن تم، فأجلس محمد بن المقتدر على السرير، وجلس القاهر بالله في بيت بقربهم، وأمر الراضي بالتوكل به والاحتياط عليه، ولم يعيش المناخلي بعد هذا إلا أقل من مائة يوم.

وكنت في هذا اليوم قد أخذت دواءً لحاجة إليه، وشيء وجدته، وعلم بذلك الأمير أبو العباس قبل أن يتسمى بالراضي بالله، فجاءني رسوله يأمرني أن أوجه إليه بالأسماء التي يُنعت بها الخلفاء، وتكون أوصافاً لهم، وإني لأعجب من إطباق الناس على تسميتها ألقاباً، فيقولون: لُقّب بكذا، وهذا

(١) في الأصل: (في وحيه عليه) ولعل الصواب: في وجة عليه.

عندي خطأ كبير، وزلل عظيم؛ لأن الألقاب مكروهة، ومنهي عنها في كتاب الله جل وعلا، وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله جل وعز {ولا تنازوا بالألقاب} (١).

فوجهت إليه برقعة فيها ثلاثون اسمًا ليختار منها ما يريد، وأشرت عليه في رقعتي أن يختار منها المرتضي بالله، ولم أشك في اختياره له، وابتدأت من وقتي، فعملت أبياتًا ضادية قافيتها المرتضي، على أني أنشده إياها وهي:

أَبَيْتَ الرَّحْمَنُ بِالسَّعْدِ الْمُضِيِّ	دَوْلَةَ قَائِمَةً لَا تَنْقُضِي
لَأَبِي الْعَبَّاسِ عَفْوًا سَأَقَاهَا	قَدَرُ اللَّهِ الْإِمَامِ الْمُرْتَضِي
دَوْلَةٌ يَأْمُلُهَا كُلُّ الْوَرَى	مَا هَذَا إِنْ ذُكِرَتْ مِنْ مُبْغِضِي
كَانَ وَجْهُ الْمَلِكِ مُسَوِّدًا فَقَدْ	قَابَلَ اللَّخْظَ بِوَجْهِ أَبِيضِ
يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا مَنْ جُودُهُ	إِنْ كَبَا دَهْرِي بِحَظِّي مُنْهَضِي
غَلَبُ الْوَجْدِ وَفَقْدَانُ الرِّضَا	وَكَلَّا جِسْمِي بِهِمْ مُرِضِي (٢)
كَانَ حَظِّي بِكَ نَحْوِي مُقْبِلًا	فَأَنْتَنِي عَنْهُ بِوَجْهِ مُغْرِضِ
أَقْرَضَ الدَّهْرُ ثَبَابِي شَيْئًا	لَمْ أَكُنْ أَطْلُبُهَا مِنْ مُقْرِضِ
لَيْسَ لِلشُّهْبِ إِذَا مَا جَارَتْ الـ	سُدُّهُمْ فِي سَبْقِ الْهُوَى مِنْ رَائِضِ (٣)

(١) كتب همامش الأصل ما صورته: الألقاب لا كراهة في جميعها، وإنما الكراهة فيما تضمن سوءًا منها، قالوا: اللقب ما أشعر بمدح أو ذم، فالمكروه إنما هو الثاني.

(٢) الغلب والغلبة: القهر.

(٣) في الأصل من تراض وهو تصحيف.

أَسَفْتُ نَفْسِي عَلَى قُرْبِي الَّذِي كَانَ مِنْ يَوْمِ اخْتِفَالِي مُغْرَضِي^(١)
لَكَ عَبْدٌ مَعَهُ بَعْدَكَ مَا وَكَلَّ الْجِسْمَ بِدَاءِ مُحْرَضِي^(٢)
قُضِيَ الْبُعْدُ عَلَيْهِ كَارَهَا لَا يَرُدُّ النَّاسُ أَمْرًا قَدْ قُضِيَ
كُلَّ يَوْمٍ يَتَضِي سَتِيفَ أَدَى بِالتَّكَادِيبِ عَلَيكُمْ مُتَضِي
مَا يِيَالِي إِذْ رَأَى فِيكَ الْمُنَى غَضِبَ الدُّهْرُ عَلَيْهِ أَمْ رَضِي

وهذه الأبيات لم تُهنَّ بها المدة، ولا راضها الفكر، وإنما قيلت مقتضية، فليست بالمختارة، وإن صُفرت من العيب، ولولا أن الحاجة دعت إلى ذكرها ما ذكرتها، وسيمر -بعون الله- من جيد الشعر في أوقاته ما يعني عليها إن شاء الله.

فلما فرغتُ منها جاءني رسوله برقعة منه يقول فيها:

قد كنت عرفنتني أن إبراهيم بن المهدي لما بويح أيام الفتنة بالخلافة أراد أن يكون له ولي عهد، فأحضروا منصور بن المهدي، وسموه المرتضي، وما أحب أن أتسمى باسم قد وقع لغيري ولم يتم له أمره، وقد اخترت الراضي بالله، فكنت أشكر الله على ما وفقه له ووهبه فيه، فمضى اسمه على ذلك، وما زال الناس يبايعونه بقية يومهم.

ووجه من وقته فاستحضر أبا الحسن علي بن عيسى، ومعه أخوه أبو علي عبد الرحمن بن عيسى - بالنظر في الأمور، وأراده للوزارة، فاحتج بكبير

(١) الغرض: الهدف يرمى بالسهام.

(٢) في الأصل: محوض، ظاهر أن الأصح محرض، ومعناه المسقم المضني.

وضعف، وأقرها^(١) إلى أخيه بذلك، وأن يكون الاسم والخلعة له، ويتولى هو النظر في أمر الملك وتدبير الناس وجباية الأموال على كره منه لذلك وتغلب، لما رأى من تعذر مال البيعة، إلا أنه كتب بالبيعة إلى النواحي، ونظر في المهم الذي يوجبه الوقت، ومعه أخوه معرقاً له ما يعمل، ومستأذناً له فيه، إلى أن وافق رقهه أبي علي بن مقله إلى سيما المناخلي، يتضمن له أنه يجتال في وقته خمسمائة ألف دينار يصرفها في الرجال للبيعة ويتضمن له إن أتم ذلك خمسمائة ألف دينار لنفسه.

وكان المتولي لا يصلح الرقعة إلى المناخلي كاتب له حدث، يعرف بعلي بن جعفر، وضمن له ألفي دينار معجلة وأضعافها مؤجلة، فصار المناخلي بالرقعة بضمان الخمسمائة ألف دينار^(٢) إلى الراضي بالله، فلما وقف عليها أحضر علي بن عيسى وأقرأه إياها، فقال له: أمير المؤمنين - في هذا الوقت - محتاج إلى زكاة هذا المال، وما عندي وجه لبعضه! والصواب: إن صح هذا المدل أن يمضي أمر هذا الرجل ويستكتبه وانصرف، فجلس في منزله، فكان الراضي بعد ذلك يقول: لم يتحصل لنا من الخمسمائة ألف دينار درهم، وأخذ من أموالنا وأموال الناس مثلها، واختير أبو علي محمد بن علي للوزارة يوم السبت لتسع خلون من جمادى الأولى وخلع عليه وركب الناس معه إلى داره ولقيني ابن عمرو الكاتب - كاتب للراضي قبل الخلافة، وكان أخص الناس به، فقال لي: إن أمير المؤمنين قد أمرني بإعطائك عشرة آلاف درهم لتسميته وما عندي دراهم، فلا تلح عليّ ودعني أدفعها إليك في مرات، قلت: فعجل منها ما ترى، فأعطاني

(١) هذه الكلمة غير واضحة والأصل يحتمل ما ذكرنا.

(٢) في الأصل: الخمسمائة الألف الدينار.

ثلاثة آلاف^(١) درهم، ووفانيها بعد شهرين.

وبلغ الراضي بالله أن هارون بن غريب -خال المقتدر بالله- مقبل إلى بغداد ففكرة ذلك وما كان بصافي النية له؛ لأن الراضي بالله كان في حجر مؤنس المظفر، وكان العباس بن المقتدر في حجر الخال، ثم في حجر ابنه هارون بعده، فكان يتهمه بإثارة عليه، ولأنه كان أيضًا منحرفًا عن جدته شغب أيام حياة أبيه، ثم رأيت من ذكره لها في خلافته وتحننه عليها ما كنت أسمع ضده منه في أيام إمارته، وكذلك عاد منه كل تشعيب كان قديمًا نفث به في أبيه مدحًا وتقريظًا ووصف محاسن، وإني لأذكر يومًا في إمارته -وهو يقرأ عليّ شيئًا من شعر بشار وبين يديه كتب لغة وكتب أخبار- إذ جاء خدم من خدم جدته السيدة، فأخذوا جميع ما بين يديه من الكتب، فجعلوه في مندبل ديبقي كان معهم، وما كلمونا بشيء، ومضوا فرأيتهم قد وجم لذلك، واغتاظ فسكنت منه، وقلت له: ليس ينبغي أن ينكر الأمير^(٢) هذا، فإنه يقال لهم: إن الأمير ينظر في كتب لا ينبغي أن ينظر في مثلها، فأحبوا أن يمتحنوا ذلك، وقد سرني هذا ليروا كل جميل حسن، ومضت ساعات أو نحو ذلك، ثم ردوا الكتب بحالها.

فقال لهم الراضي: (قولوا لمن أمركم بهذا: قد رأيتم هذه الكتب، وإنما هي حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء، ومن كمله الله بالنظر في مثلها وينفعه بها، وليست من كتبكم التي تبالغون فيها مثل عجائب البحر وحديث سندباد والسنور^(٣) والفأر)،

وخفت أن يؤدي الخادم قوله، فيقال: من كان عنده فيذكرني، فيلحقني

(١) في الأصل: ثلاثة ألف درهم.

(٢) في الأصل: أن ينكر للأمير هذا.

(٣) في الأصل: شنديار والسنفور.

من ذلك ما أكره، إلى ما لي عندهم مما سأذكره، والسبب فيه في موضعه من أخباره إن شاء الله، فقمتم إلى الخدم فسألتهم: ألا يعيدوا قوله، فقالوا: والله ما نحفظه فكيف نعيده؟!

فكتب الرازي بيده إلى هارون بن الخال أن يقيم بمكانه، ولا يتجاوز ذلك إلى ناحية الحضرة، ويعدده أنه يأذن له في القدوم عليه في الوقت الذي يراه صلاحًا، فكتب جوابًا عن هذا الكتاب بأنه جاء محتاطًا مشفقًا من أشياء قد بلغته وأقلقت، وأقبل حتى نزل النهروان فاشتد ذلك على محمد بن ياقوت، وكان قد حجبه وملك على الوزير محمد بن علي، فندب الرازي الناس للخروج مع ابن ياقوت لمحاربتة من غير أن يرى ابن الخال أنه يجب قتاله، وإنما أحب تأخير مديدة استيطاراً^(١) منه لأنه لم يدرك كيف تثول الأمور، فلقية ابن ياقوت بنهر يتن بقرب النهروان فقتله واحتز رأسه، فجيء به إلى الرازي، فأظهر سرورًا بذلك، وسلمه إلى أهله فدفن بقرب قبر أبيه في قصر عيسى بن علي في الكرخ في الجانب الغربي.

وخلع في يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة على محمد بن ياقوت لقتله ابن الخال، وطوق وسور وخلع في يوم الخميس بعد ذلك بيومين على الوزير محمد بن علي لمعاونته على ذلك.

وكان قتل هارون بن غريب في يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الآخرة وإلى هذا الوقت، فما ذكر الرازي [أحدًا]^(٢) من الجلساء ولا جلس ولا كان يشرب النبيذ ولا يوافق، وكنت أحسن تركه، وكان في إمارته ربما انتهى أن يصل مجالسه، ويبر من يحضره ويشرب اليسير منه، فيتأذى بذلك، وما زال

(١) هي من الطيرة وهي ما يتشاءم من الفأل.

(٢) ما بين المربعين زيادة اقتضاها السياق.

ذكيًا فطنًا لقنًا لما يسمع بحضرة ما يريده من غير فكر، فدعا يومًا أخاه هارون، وكانا نفسًا واحدة في جسمين في أيام أبيهما؛ مكتبهما واحد وأمرهما واحد، يقدم طباخوه الطعام لهما شهرًا ثم يقدمه في الشهر الآخر طباخو أخيه هارون، وكان في حجر نصر الحاجب وكان بره به أكثر من بر الباقيين للأمرء الذين في حجورهم، فدعا يومًا أخاه هارون إلى الثريا فشرب هارون وأحب أن يساعده، فدخل في النبيذ إلى أن غيره وكان يقرأ على شعر أبي نواس في تلك الأيام، فأنشدت معرضًا به بيتا لأبي ذؤيب:

رَأَيْتَنِي صَرِيحَ الْخَمْرِ يَوْمًا قَرَعْتُهَا يَقْرَأَنَّ الْخَمْرَ شَفْبُ صِحَابِهَا

ففظن لما أردت فقال: لم أقرأتني بالأمس قول أبي نواس:

فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرَانِي صَاحِبًا وَمَا الْعُمْرُ إِلَّا أَنْ يُتَغْتَمَّيَ السُّكْرُ

ثم قطع وانصرف، فلما فرغ قلبه من أمر ابن الخال وجه إلي من هاهنا ممن جالس الخلفاء ومن يصلح أن يجالسني، فوجهت إليه: إنه لم يبق ممن جالس الخلفاء غير إسحاق بن المعتمد، وهاهنا من رسم بالمجالسة وما جالس بعد مثل محمد بن عبد الله بن حمدون ومثل ابن المنجم، فقال: قد عزمت على الجلوس، وتقدم بإحضار الجماعة وأمر أن يكون فيهم أحمد بن محمد المعروف بالعروضي واليزيديان: إسحاق وعلي ابنا إبراهيم، وكانا يعلمان الجماعة الخط، وكان العروضي مرسومًا بتأديب أبي إسحاق المتقي بالله أمير المؤمنين وأخيه على رسمه بذلك، والمعروف بابن غالب، وكانت رياسة التأديب إليه؛ لأن الزجاج النحوي كان ندب لتأديب المقتدر بالله، فاستخلفه فغلب على الأمر وحظي به دون الزجاج، ووهب له وأقطع لما ولي المقتدر ما أغناه وكفاه. فرسم العروضي بهذين، ورسم أبا عبد الله محمد بن العباس اليزيدي بتأديب الرازي وأخيه هارون ورسم لتأديب العباس بن المقتدر رجلا آخر يعرف بابن غدانة العماني.

ثم إن علي بن المقتدر توفي فكان العروضي يصير إلى الرازي وأخيه هارون فيكرمانه، وتوفي اليزيدي وابن غالب قبل خلافة الرازي بالله فلم يكن يُجلس إليهما غيره، وغير علي بن إبراهيم اليزيدي على نوبة وملازمة.

ورسم لتأديب عبد الواحد بن المقتدر المعروف بابن الأنباري النحوي، فأمر الرازي أن يحضر الجماعة الدار في مستهل رجب سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ليجالسوه، وأحضرنا، وأمر بأن يكون ترتيب جلوسنا على ما أنا أذكره رسم أن يكون على يمينه أقربنا إليه إسحاق بن المعتمد، ثم أكون أنا تاليًا له، ثم يكون العروضي تاليًا لي، ثم يكون ابن حمدون تاليًا له، ثم يجلس الباكون عن يسرته على ترتيب ربما اختلف فكننا في المجلس في أول جلسة جلسها أربعة عن يمينه كما ذكرت، وخمسة عن يساره وهم يوسف وأحمد ابنا يحيى بن المنجم وعلي بن هارون بن علي بن يحيى واليزيديان إسحاق وعلي ابنا إبراهيم، وكان قد أمرني أن أعمل أبياتي الضادية على قافية المرتضي قصيدة ضادية غيرها على قافية الرازي فعملتها، فلما وصلنا إليه في ذلك اليوم أنشده أحمد بن يحيى وعلي بن هارون قصيدتين يهنيانه فيها بالخلافة ويصفان سرورها لاغتباطهما، فاستمعهما وأظهر استحسانهما، ثم أمر بإنشاد الضادية فأنشده إياها، وأنا أذكرها هاهنا؛ لأنها ليست من الشعر الذي ياباه القلب ويمجه السمع، وفيها مدح لابن ياقوت وللوزير وهي:

أَصْبَحَ الْمَلِكُ عَالِيًا بِأَيِّ الْعَبْدِ	بَسَّ أَعْلَى الْمُلُوكِ بَعْدَ انْخِفَاضِ
وَاسْتَفَاضَ السُّرُورُ فِي سَائِرِ النَّا	سِ بِمُلْكِ الْمُهْذَبِ الْفَيَّاضِ
رَضِيَ اللَّهُ هَدْبَهُ فَاضْطَفَّاهُ	فَهُوَ بِاللَّهِ وَالْمَقَادِيرِ رَاضِي
مَنْ عَدَّنَهُ الْعُلُومُ يَرْزَعُ مِنْهَا	فِي جَنَّاتِ أُنَيْقَةٍ وَرِيَّاضِ
كَمُلَ الْفَضْلُ وَالْقَضَائِلُ فِيهِ	قَبْلَ عِشْرِينَ مِنْ سِنِيهِ مَوَاضِي

فَهُوَ بِالْعِلْمِ وَالنَّفَرِغِ فِيهِ
 خَطَرَتْ نَحْوَهُ الْخِلَافَةُ طَوْعًا
 وَأَضْطِفَاقٍ مِنَ الْأَكْفِ دِرَاكًا
 مَرِضَ السِّدِّينُ قَبْلَهُ وَأَتَاهُ
 وَاسْتَلَدَّ الزَّمَانَ إِذْ أَسْفَرَ الْمُلْدُ
 وَاجِدٌ بِالْعُلُومِ وَجَدٌ مَجْحُبٌ
 يَرِدُ النَّاسُ مِنْهُ أَغْدَارَ جُودٍ
 يَحْمِدُوا مِنْ مُحَمَّدٍ حُسْنَ مُلْكٍ
 نَعَمٌ لِللَّوِيِّ مِنْهُ حَبَاهُ
 تَمَلِّكَ الْخَطْبَ مِنْهُ عَزْمَةٌ رَأْيِي
 يَا إِمَامًا إِلَيْهِ حُلَّتْ عُرَى الْفَخْرِ
 حَازَ بِالْمَكْرَمَاتِ كَامِلَ نَجْدٍ
 وَتَعَالَى عَلَى النُّجُومِ بَيْتٌ
 حُجَّةُ اللَّهِ أَنْتَ يَا قِبْلَةَ الدِّيبِ
 آذَنَ السَّيْفُ مَنْ عَصَاكَ مِنَ النَّا
 وَيَثْقُلُ مِنَ الْعَذَابِ وَيُوزِرُ

خَيْرُ آتٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَمَا ضِي
 بِاتِّفَاقٍ مِنَ الْوَرَى وَتَرَاضِي
 وَاجْتِمَاعِ مَوْفٍ وَعَزْمِ مُقَاضِي^(١)
 بَارِئًا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْرَاضِي
 كُ وَجَلَّى سَوَادَهُ بِيَّاضِي
 رَاعَهُ مَنْ يُحِبُّ بِالْإِعْرَاضِي
 طَيِّبِ الْوِزْدِ مُشْرِخِ الْأَخْوَاضِي
 بِتَقْضِي حَقِّ الْوَرَى وَتَقْضِي^(٢)
 وَمَنَابِعِ عَلَى الْعَدُوِّ مَوَاضِي
 يُذْعِنُ الصَّغْبُ عِنْدَهَا لِإِزْتِيَّاضِي
 سِرِّ وَقَلَّتْ مَعَاقِدُ الْأَغْرَاضِي
 عَلِقَ النَّاسُ فِيهِ بِالْأَبْعَاضِي
 سَامِقِ الْعِرْزِ ظَاهِرِ الْأَعْرَاضِي
 مِنْ قَلْبَيْسَتْ تُرَدُّ بِالْإِذْحَاضِي
 سِ بِهَلْكَ وَإِثْكَ وَأَنْقِرَاضِي
 يَنْقُضُ الظُّهْرَ أَيَّمَا إِنْقَاضِي

(١) في الأصل: واجتماع (موفو عزم) ويظهر أن الزيادة التي وسمت بعد الفاء هي واو عزم
 (٢) في الأصل: بتغضي... وتغاضي بالعين المعجمة.

يَسُطُّ الْجَاهُ مِنْهُ بَعْدَ انْقِيَاضِ
 لَسْتُ مَا عَشْتُ فِيهِ بِالْمُعْتَاضِ
 قَدْ دَلِيلُ الْفَيْسُوتِ بِالْإِيَاضِ
 مَسَّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَوِي الْإِنْقَاضِ
 رِ قَدْ ذَلَّتْ صَمْتَهَا بِافْتِضَاضِ
 بِقِ أَهَامِي الطُّوَالِ الْعِرَاضِ
 سِدِّ وَلَا مُذَكَّرٍ بِهِ مُتَقَاضِي
 جَزِي مَاءِ صَافٍ عَلَى رَضْرَاضِ
 بِحَدِيثِ يَلْتَهُ مُسْتَقَاضِ
 مَسَّ بِشُوبٍ مِنَ الْغَنَى فَضْفَاضِ
 أَدْنِ الْأَهْمُ عِنْدَهُ بِانْفِضَاضِ^(١)
 نَبَّ جَنَبِي بِجُنُوبِ التُّهَاضِ
 أَعْيُنُ السُّخْطِ وَهِيَ عَنِّي رَوَاضِ^(٢)
 طَأَّ عَنِّي جَنَاهُ بِالْإِنْقَاضِ
 أَتَشَكِّي مِنْهُ نُذُوبَ عِضَاضِ^(٣)
 وَانْتِضَايَ مِنْ خَلَّةِ الْإِنْقَاضِ

لَسْتُ نَمَنْ يُرِيدُ بِالْمُذِحِ حَالًا
 قَدْ تَرَوْنَتْ مِنْ نَوَالِ إِمَامِ
 بِشُرِّهِ زَائِدُ الْعَطَاءِ كَمَا الْبِرِ
 وَتَقَدَّمْتُ فِي مَدِيحِي لَهُ النَّا
 وَافْتَرَعْتُ الْأَبْكَارَ مِنْ عِرْزَةِ الشُّغْ
 وَعَهْدَانِي بِطُورٍ مِنْهُ فِي سَا
 جَاءَ عَفْوًا بِإِلَّا سُؤَالٍ وَلَا وَعْ
 صَافِيًا مِنْ تَكْذِيرِ الْمُطَّلِ يَجْرِي
 وَتَشَرَّفْتُ بِسَاجِلُوسٍ لَدَيْهِ
 وَبَلَّغْتُ الْمُنَى وَبَشَّرَنِي النَّا
 وَتَبَدَّلْتُ بِالنَّذْلِ عِزًّا
 وَاطْمَأَنَّ الْفِرَاشُ مِنْ بَعْدِ أَنْ جَا
 وَاسْتَرَدَّ الْعَدُوُّ وَنَحْدِي وَعَادَتْ
 لَا أَرَى مُزْعَجًا نَوَالِي وَإِنْ أَبْ
 لَا وَلَا حَاطَبًا بِذَمِّ زَمَانِ
 قَدْ كَفَانِي الْإِمَامَ مَا قَدْ عَنَانِي

(١) جانب من الأضداد.

(٢) الوكد بالضم السعي والجهد.

(٣) الندوب جمع ندبة بفتح النون وهي الأثر الباقي على الجلد من جرح أو غيره.

واجتبيت الغنى بمدحي غضا
 لم أجب نحوه الفلاة ولا أفا
 تترامى بي المفائر طورا
 بعد أن حلت النحوس تحلي
 فلك اليأس بي فأهدى صدودا
 وأراني تحيف الهجير للطيب
 واقتضاني دين الشباب مريب
 عجبني له كيف أوجب ذنبا
 ظالم منصف سريع بطيء
 فسوذت بالبياض غدا
 واكتسبت الوقار بالكثرة مني
 وأتتني قوارض من أناس
 كل وإهي القوي نؤوم إذا ما
 تركتني لما أحاذر منها
 من أباد له رطاب غضا
 بكت نقضا أهوي على أنقاض^(١)
 واغراضا كرمية المغراض^(٢)
 وهوى نجم أسعدي لا يقضاض
 من وصول كفتكة البراض^(٣)
 ربما نسي تحيف المقراض^(٤)
 فيه عنف له وقبح نقاض
 لم يكن عن سلف واقراض
 سابق ركضه بغير ارتكاض
 تبه عن وصالي بيض بضاض
 ونصت بشرقي ليالي نواضي
 مثل وتمع الشهاب في الأغراض
 نهض الناس للنملى زياضي
 حرضا هالكما من الأخراض

(١) النقص: المهزول من السير، والأنقاض النوق أو الجمال المهزولة.

(٢) المفائر: الحاجات، والمعراض سهم بلا ريش دقيق الطرفين غليظ الوسط، يصيب بعرضه دون حده.

(٣) البراض بن قيس الكناني أحد فتاك العرب المشهورين وبسببه نسبت حرب الفجار بين قومه بني كنانة وبين قيس عيلان، وفي الأصل كفيثة.

(٤) في الأصل: وأراني كخيف.

فِيكُمْ مِنْ تَأَلَّمِ وَامْتَعَاضِ
 فِي إِلَى الْآنَ لَسُدَّةِ الْإِغْتِمَاضِ
 سَلِكُ غَيْرِ الْهُمُومِ وَالْإِزْمِيَاضِ
 لَمْ تُغْفَيْسِبْ بِغَابَةِ وَغِيَاضِ
 بَعْدَكُمْ مَرْهَفِ الشَّبَابِ عَمَّاضِ
 سَعْتَظَمِ مِنِّي بِكَلِّكَ لِرَضَاضِ
 إِسْمَ حَوْقًا بِمَزْوِدِ مَضَاضِ
 لِيَحَارِ اغْتِيَابِكُمْ خَوَاضِ
 مِنْ مَدِيحِ عَلَى الْأَذَى حَضَاضِ
 هُوَ وَعَوْضَتْ أَحْسَنَ الْاِغْتِيَاضِ
 سَائِرِي فِي مَدِيحِكُمْ رَكَضِ
 نُضِحِ مِنْ أُسْرَةٍ لَكُمْ أَنْحَاضِ
 فَهُمْ هَائِنُوهُ بِالْحَضْمِ حَضَاضِ
 مِنْ كَفْضِ الدَّيْسِ لِابْنِ تَحَاضِ
 بُوَ وَتَرْدِي خِيُولَهَا فِي الْعِرَاضِ
 لِمِ شَفَائِي الْمَحَلِّ بِالْإِحْمَاضِ
 مَا الْمَصَاعِبُ فِيهِ كَالْأَحْفَاضِ
 قَاتِلِ الْمَحَلِّ جَائِرِ الْمُنْهَاضِ
 عَرَفُ قَضْدِ السُّهَامِ بِالْإِنْبَاضِ

عَلِمَ اللَّهُ مَا الَّذِي كُنْتُ أَلْقَى
 لَمْ أَذُقْ مُذْ رَكِبْتُ رَاحِلَةَ الْخَوِ
 لَا أَطِيقُ الدَّفَاعَ عَنْكَ وَلَا أَمَ
 زَأْرَتْنِي أَسْوَدُ حَقْدٍ عَلَيَّكُمْ
 وَقَرَانِي الزَّمَانُ مِنْهُ يَنَابِ
 وَانْتَحَى أَكِلًا لِلْحَمِي وَرَضَ الْ
 وَانْتَحَلْتُ السُّهَادَ وَالْحُدْرَ الدَا
 مِنْ حَسُودٍ مُتَنَافِسٍ لِي عَلَيَّكُمْ
 مُبْغِضٍ لِي لِمَا أُسَبِّرُ فِيكُمْ
 فَأَرَانِي الْإِلَهَ مَا كُنْتُ أَرْجُو
 يَا إِمَامَ الْهُدَى اسْتَمِعْ لِسَوِيَّ
 بَذَلُ النَّفْسِ وَاجِبٌ لَكَ نَحْضُ الْ
 كُلُّ عَاصٍ يَجْلِدْتَهُ الْعُرُّ
 يَفْضُلُ النَّاسَ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبَأْ
 قِيلَةُ الْحَرْبِ حِينَ مُجْتَنَّبِ الْحَرْزِ
 عَضَّدَ الْمُلُوكَ فِيهِ بِالْأَيْدِ الْعَا
 بَاذِلُ الرَّأْيِ مَالِكِ شَعْبِ عَزْمِ
 أَحْصَبَتْ أَرْبَعُ الْوَرَى بِإِمَامِ
 عَرَفَ النَّاسُ فَضْلَهُ مِثْلَ مَا يُعْ

مَنْ رَأَى حُبَّهُ كَنَافِلَةَ الْفَر
 أَيَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ بِوَزِيرٍ
 عَالِمٍ بِالزَّمَانِ قَدْ رَاضٍ مِنْهُ
 لَمْ يَطْفُفْ بِالْيَقِينِ مِنْ ظَنِّهِ الشُّكَّ
 ضَرَبَتْ فِي هُوسٍ وَلَيْسَ مَاضٍ
 نَاصِحٌ لَمْ يَخْضُ ضَحَاضِحَ غِشٍّ
 مَوْلَى اللَّهِ يُبَيِّتُ مَالِكَ مِنْهُ
 غَيْرَ مَا حَافِلٍ إِذَا انْتَحَلَ النُّضَّ
 مِنْ أَنَسٍ أَقْلَامُهُمْ أَنَسُهُمُ الْمَلَأَ
 جَامِعَاتٍ لِلْأَمْرِ بَعْدَ افْتِرَاقِ
 مَا رَأَتْ سَاعِبًا عَلَى الْبَيْنِ إِلَّا
 نَقَعَتْ بِالْمَدَادِ سُمًّا عَلَيْهِ
 قَابِقُ يَأْسَيْدِ الْمُلُوكِ لَهُ تُبُّ
 وَتَمَلَّ النَّيْرُوزَ تَسْنِيعِينَ عَامًا

ضِي قَتَابِي أَرَاهُ كِتَابَ الْإِفْتِرَاضِ
 مُسْتَقِيلٌ بِرَأْيِهِ تَهَاضِ
 جَائِحًا آيَّاعًا عَلَى الرُّوَاضِ
 وَلَا حَالٌ دُونََهُ بِسَاعِغِرَاضِ
 وَسُهَاةً عَلَى عَدُوِّكَ قَاضِ
 فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي مَعَ الْخَوَاضِ
 بِاجْتِنَاعٍ مِنْهُ لَا بَارَ فِضَاضِ
 سَحَّ بِشَكْوَى مُغَاضِبٍ أَوْ مُرَاضِ
 سِكَ وَلَكِنَّهَا بِغَيْرِ وَفَاضِ
 جَابِرَاتٍ لِلْعَظْمِ بَعْدَ انْهِاضِ (١)
 قَيْدَتْ سَعْيَهُ بِغَيْرِ الْإِياضِ
 نَفَسَتْ أَنْيَابَ حَيَّةٍ نَضَاضِ
 سِرْمٌ بِالرَّأْيِ مِنْهُ كُلُّ انْتِقَاضِ
 سَامِيًا وَالْعَدُوُّ دُوِّ إِغْضَاضِ

فقال لي - وكان عالماً بالشعر ناقدًا - : ما أعرف مثل هذه الضادية لقديم ولا محدث، وإنما لحمتك رميت بها كما كانت - قد جبر الدين الإله فجبر... حمة العجاج رمى بها.

(١) في الأصل: للظلم ولا معنى لها.

فقلت له: يبقى الله سيدنا، وهاننا حماة مثلها كثيرة.

وكان من أول ما نحاطبنا به أن قال: والله لقد جاءني هذا الأمر وما شرعت فيه ولا أحببته، ولا علم الله ذلك مني في سر ولا علانية، لا جهلا مني ما فيه من الشرف والجلالة^(١)؛ لكنني لتغير الأحوال وقلة الأموال وکلب الجند وخاب الدنيا، وإنه يستصحبني من الغم والأسف والغيظ والاهتمام أكثر مما يؤمل من السرور واللذة، فما أجد في زماني مياسير من الكُتَّاب والتجار يجمل بمثلهم الملك، ويلجأ إليهم مثل ابن الجصاص في التجار ومن يقاربه، وأرجو أن يعينني الله بجميل نيتي فقد ضقت ذرعا بما دفعت إليه فقلت له: إذن يعينك^(٢) الله يا أمير المؤمنين، ويوفقك بشهادة من رسول الله صلى الله عليه بذلك ووعد به، قال: وكيف ذلك؟ قلت:

حدثنا إبراهيم بن عبد الله الثميري، قال: حدثنا حجاج بن منهال، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن بن أبي الحسن، عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه: ((يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها)).

فقال لي: قد والله سرني الله بهذا الحديث، ولست أشك الآن في عون الله لي وتوفيقه إياي، ثم قطع المجلس قطعة ما لقيه من إعنات القاهر له، وخوفه لقتله أباه في ليله ونهاره، وما دفع إليه من مداراة من لا تعرف طريقته ولا يوثق بدينه ولا بعقله، ولا تؤمن بوائقه، ولا تُرضى خلائقه، إلى أن قال: أليس بآبن المعتضد وأخ المقتدر وعم لنا؟! هذا والله عار لا يرحض وعيب لا يزال، ثم نبهتنا سهامه.

(٢) في الأصل: تقرأ بالوجهين، الخلافة والجلالة.

(٢) في الأصل: يغنيك ويظهر أنه تحريف.

فقلت: قد أزال الله عن سيدنا كل عيب وألحق به كل حسن، وله في رسول الله صلى الله عليه أسوة حسنة، هذا عمه أبو لهب أنزل الله عز وجل فيه وفي امرأته سورة من القرآن يعرفها كل إنسان ويلفظ بها كل لسان، فما ألحقه عاره، وقد ولده جد رسول الله عبد المطلب. وهذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه كان يهجوهم قبل إسلامه ثم أسلم وشهد حينئذ مع رسول الله صلى الله عليه، وحسن أثره وما زال محموداً مرضياً إلى أن توفي، ويقول له حسان بن ثابت وكان كافراً:

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبٍ
فَلَا يَعْجَبَنَّ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْهُمَا فَمَا حَبَبْتُ مِنْ فِضَّةٍ بِعَجِيبٍ^(١)

فقال لي: قد والله سرني جميع ما جرى، وأراني طريق المسلاة، وأعتقني من همٍّ كان قد ملكني وغلب عليّ، أعلمت أن الناس يظنون أن هذا من قول حسان، إنما هو لأبي سفيان صخر بن حرب، وأنا قد كنت أظن ذلك حتى عرفتني فقلت له: إن حسان هجاه بقصيدة فيها بيت يقال: إنه ما سمع بهجاء قط أنصف منه، وهو قوله:

هَجَّوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِمَنْبُلٍ فَشَرُّكُمْ لِحَيْرِكُمْ الْفِدَاءُ^(٢)

هذا أنصف بيت قيل قط من هجاء.

قال الصولي: وما حكيت من ألفاظه التي مرت، وما أحكيه من كلامه بعد

(١) في الأصل من فسه.

(٢) الرواية المشهورة بكفف.

فهو كما أحكيه أو شبهه أو مقارب، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه وأنا أحفظ معناه.

وكان والله إذا جمع نفسه وأحضر خاطره كأنه ينطق بلسان المنصور إذا أراد الكلام في معنى من المعاني، كذلك خيل إلي أو المأمون من بلاغته وحسن سلوكه سبل المعاني وما أخطأه من شيء فلن يخطئه أن يكون أحسن الناس علما بالشعر ونقدا له كما ينتقده العلماء به وإنه من أطبع ملوك بني العباس في الشعر وأكثرهم شعرا وأكرمهم عشرة جلسائه، وما رأيت ولا سمعت بخليفة أحسن منه أخلاقا ولا أسمح بكل شيء بالمال والطعام، حتى يفرط وبالثياب والطيب، ما يخل بشيء قط ولا تعاضمه شيء يهبه، ولولا إتباعه لشهوته كثيرا عالما بما في ذلك من العيب محتملا له على بصيرة لظننت أنه لا يقدم أحد عليه.

فكنا بين يديه في ذلك اليوم ثلاث ساعات من الليل نشرب وكان هو لا يشرب قد ترك النبيذ جملة، ثم انصرفنا وكان النوروز في تلك الأيام فجلس في بركة مرصصة الجوانب والمجاري حسنة قد عملها وأحضرنا فجلسنا حول البركة وملئت ماء وأمر فرمى فيها بمثقلات كافور كبار وصغار ثم قال لنا: كل من وقف بين يديه مثقلة فهي له، فوقفت بين يدي بعضنا مثقلة وقدام بعضنا مثقلتان، أنا منهم، وقفت لي صغيرة وكبيرة باعهما لي ابن خزابة بثلاثة آلاف^(١) درهم، ودفع إلينا ندا كثيرا وعنبرًا ووصل الجماعة بصلات مختلفة على أقدارهم عنده، ثم واصل الجلوس بعد ذلك إلى أن كثر شغب الحجرية والساجية في طلب المال، فقطع الجلوس معنا مدة لثلا يقولوا إنه مشغول ببلداته، ولما قبض على القاهر حبس في بيت وطولب بأموال فلم يقر بشيء وكأنه عرف ما له عند الراضي لسوء ما كان يعامله به، فعذب عذابا شديدا فما

(١) في الأصل بثلاثة ألف.

أنعم بشيء فأمر بعض الناس فكحله فأعماه وتردد^(١) المكروه عليه فما أقر بشيء ووجد له مال يسير وآلة فأخذت وحسن وفاء زيرك له فأعجب ذلك للرازي فاصطنعه وحسنت خدمته له فتمكنت عنده خالة وغلب عليه إحسانا كثيرا وأقطع البستان المعروف بالشفيعي ووهب له من أنواع الطيب ما كان أمه يقصر عن مثله، وكذا من الجواهر والبلور وآلة الذهب والفضة، وما رأيت البلور عند ملك أكثر منه عند الرازي ولا عمل ملك منه ما عمل ولا بذل في أثمانه ما بذل، حتى اجتمع منه له ما لم يجتمع لملك قط.

عظم في أول أيام الرازي أمر مرداويج^(٢) السلمي بأصبهان وتحدث الناس عنه أنه يريد تشعيث الدولة وقصد بغداد، وأنه لمساهم لصاحب البحرين مجتمع معه على ما يحاوله، ثم ورد الخبر بأن غلمانه قتلوه، وأن رئيس الغلمان غلام يعرف بيجكم، وأنه خرج عن أصبهان ومعه جماعة من الأتراك قد رضوا به صاحباً لهم ورئيساً عليهم، فزعم ابن ياقوت أنه وكاتب فيه الغلمان ووجه برسل إليهم يحضهم على ذلك ويرغبهم في حسن الفائدة عليهم في العاجل من جهة الخليفة، وفي الثواب بطاعتهم لخليفة، ونفذت كتبه إلى بيجكم، والغلمان بتحقيق ظنونهم والتقدم إليهم لقصدهم وقلته ليبلغ لهم ما أملوه ودخل ابنا المنجم أحمد بن يحيى وعلي بن هارون فأنشدا الرازي في يوم خميس شعرا يهنيانه بهذا الفتح وتخلفت أنا لشيء وجدته ثم دخلت إلى الرازي في يوم السبت بعد الخميس بيومين وأنشدته:

صَحَّحَكَ الدَّهْرُ بَعْدَ طُولِ عُبُوسٍ طَالِقًا بالسُّعُودِ لَأَبِ النَّحُوسِ

(١) في الأصل: وترود.

(٢) في الأصل مرداويج، بالخاء المهملة، والمعروف من كتب التاريخ ما ذكرناه.

وَأَتَتْهَا الْأَيَّامُ مَعْتَذِرَاتٍ
 بِالْإِمَامِ الرَّازِيِّ الْمَطْلُ عَلَى الْآ
 سَبْعَةَ مِنْ خَلَائِفِ وَلَسُدُّهُ
 رَضِيَ الرَّازِي الْإِلَهَ لِمَلِكِ
 فَهُوَ كَالْحِضْبِ بَعْدَ وَافِدِ جَذِبِ
 أَنْسَ اللَّهُ بِالْخَلِيفَةِ مُلْكًا
 فَهُوَ يَجْتَمِعُ فِي الْجَدِيدِ مِنَ اللَّبِ
 يَا نَسِيمَ الْحَيَاةِ أَضْحَكَتْ دَهْرًا
 إِنَّ أَيَّامَكَ اللَّذَّادَ كَوَضَلِ الْ
 مَرْدَوَاجِ بِسَيْفِ حَظِّكَ مَقْتُو
 قَصَفْتَهُ رِيَّاحَ أَيَّامِكَ الْفُر
 نُلَّ عَرْشُ اللَّعِينِ أَسْرَعَ مِمَّا
 وَتَوَلَّتْ بِمَنَاتِمِ الدَّهْرِ أَيَّامًا
 بَعْدَ كُفْرِ لِنِعْمَةٍ وَقَبِيحِ
 وَجَزَى الْمُسْلِمِينَ تُوَخَّذُ قَسْرًا
 حَاسِبُ الْمَالِ عَنْهُمْ مُسْتَضَامٌ
 وَكَأَنَّ الْعِيَالَ إِذْ فَقَّ بَدُوهُمْ
 وَكَسَاتِي بِهِمْ حَمَائِلَ إِقْبَا
 حَسَّهُمْ سَيْفُكَ الْحَسَامَ فَأَضْحَوْا

لَابَسَاتٍ نَعِيمَةً بَعْدَ بُوسِ
 دَابِ شَمْسِ الْمُلُوكِ وَابْنِ الشُّمُوسِ
 لَمْ يَكُنْ ذَا لَغِيرِهِ مِنْ رُئُوسِ
 أَوْضَحَ النَّهَجِ مِنْهُ بَعْدَ الدُّرُوسِ
 رُعِيَ الْغَضُّ مِنْهُ بَعْدَ الْيَبِيسِ
 مَوْجَشِ الرَّبْعِ وَاهِنِ التَّأْيِيسِ
 سَةِ وَالْحُسْنِ بَعْدَ لُبْسِ الدَّرِيسِ
 كَانَ لَوْلَاكَ دَائِمَ التَّغْيِيسِ
 حِبُّ طَيِّبًا وَنَوْمَةَ التَّغْمِيسِ
 لَلْ قَاهُونَ بِذَلِكَ مِنْ مَرْمُوسِ
 رِ فَأَخَذَنَ مِنْهُ نَارَ الْمُجُوسِ
 سَلَبَ الْعَرْشِ مِنْ يَدَيِ بَلْقِيسِ
 مِ أَتَتْهَا تَجْرُدُ ذَيْلِ الْعَرُوسِ
 كُفْرُ عَبْدٍ فِي نِعْمَةٍ مَغْمُوسِ
 بِخُرُوجِ عَلَيَّهِمْ وَمُكْمُوسِ
 بَاتَّسَاعِ الْأَدَى وَضَيْقِ الْحُبُوسِ
 أَنْشُرُوا فِي الْبِلَادِ بَعْدَ الرُّمُوسِ
 لِ طَوِيلِ الْإِطْرَاقِ وَالتَّنْكِيسِ
 هُمْدًا مِنْهُ مَا لَهُمْ مِنْ حَيِّيسِ

يَا حَيْلِي الزَّمَانِ يَا زِينَةَ الْأَزْمَانِ
 إِنَّ نُصْحِي وَصِدْقَ وَدِّي قَدِيمٌ
 قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ الزَّمَانُ شَبَابِي
 مَا أَطِيلُ الْمَقَالَ خَوْفًا لِإِضْحَاجِ
 وَأَرَى النَّاسَ أَظْهِرُوا بِمَسِيحِ
 رَبِّ بَدَلِ سَقَمِي مِنْهُ كَأَنَّمَا
 حِينَ شَرَفْتَنِي فَكُنْتُ بِسُئْمَا
 ثُمَّ أَفْرَدْتَنِي خُصُوصًا بِبِرِّ
 إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ دَهْرِي حَرْبًا
 أَنَا مِنْهُ لَغَيْرِ هَجْرٍ وَوَضَلٍ
 فَاعْتَبِرْ مَا شَكَاهُ عَبْدُكَ مِنْهُ
 هُوَ فِي مَخْلَبِ الزَّمَانِ قَرِيسٌ
 وَأَسْقِيهِ مِنْ سُلَافِ جُودِكَ بِذَلَا
 يُطَلِّقُ الشُّعْرُ فِي أَنَاسٍ وَيُشْفِي
 لَمْ تَزَلْ فِي الْقَدِيمِ تَلْبَسُ مِنْهُ
 لَا أَعْلَى بِهِ لِعُلُوِّهِ فَخَرًّا
 مَدَحٌ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا زِيَادًا

ضِي وَرَأْسَ الْمُلُوكِ وَابْنَ الرُّءُوسِ
 لَمْ أَشْبَهُهُ بِالزُّورِ وَالتَّنْذِيلِ
 خَالِصًا غُرَّتِي بِشِعْرِ خَلِيسِ
 رِ إِمَامٍ مُؤَيَّدٍ تَحْرُوسِ
 لِي مِنْهُ الْبُكُورُ بِالتَّغْلِيصِ
 فَأَعِدْ لِي مُنَادًا تَلْسِكُ الْكُنُوسِ
 لَكَ جَلِيسًا مِنْ قَبْلِ كُلِّ جَلِيسِ
 مُفْرِدٍ طَاهِرٍ مِنَ التَّنْذِيلِ
 جَاوَزَتْ حَرْبَ دَاحِسٍ وَالبَسُوسِ
 وَأَقْبَفَ بَيْنَ لَوْعَةٍ وَرَيْسِ
 ثُمَّ دَاوِ الْخَنَاقَ بِالتَّنْفِيصِ
 فَازْحَمِ الْأَزْمَانَ نَفْسَ هَذَا الْقَرِيسِ
 فَاقْ طِييًّا سُلَاقَةَ الْخُنْدَرِيسِ
 وَقِفْ مَدْحَ عَلِيٍّ الْإِمَامِ حَبِيسِ
 مُسْتَجِدَّ الطَّرَازِ غَيْرَ لَبِيسِ
 فِي مَشِيْبٍ لَهَا وَلَا لِلْعَمِيسِ^(١)
 وَهُوَ خَاشٍ رَدَى أَبِي قَابُوسِ

(١) علوة: اسم امرأة، ويقال: امرأة متعامة؛ أي: تستر في شبيبتها ولا تتهتك.

لَا وَلَا حَاكَ مِنْهُنَّ جَرِيرٌ
 قَامَ هَذَا الْمَدِيحِ بِالْمُنْذِرِ مِنِّي
 قَالَقَهُ بِالنَّجَاحِ يَا أُنْزَمَ الْأُ
 لِي سَبَقُ الْمَدِيحِ فِيكَ عَلَى النَّا
 هِيَ حَالٌ لَيْسَ الشَّبَابُ وَإِنْ فُضَّ
 يَا إِمَامًا بِهِ أُمِرْتُ عُرَى الْحَا
 أَيَّدَ اللَّهُ مُلْكُهُ بِوَزِيرٍ
 ضَامِنٍ بِالْوَفَاءِ مِنْهُ رَضِيَ اللّٰه
 ظَمِيَ الْمَلِكُ قَبْلَهُ فَسَقَاهُ
 حَاصِدٍ لِلْعَيْدِ بِأَقْلَامِ رَأْيٍ
 كَيْدُهُ وَافِدٌ عَلَيْهِمْ بِيَوْمٍ
 بَانَ فَضْلًا عَلَى الْكُفَاةِ كَمَا بَا
 طَابَ أَضْلًا وَبَانِيهِ طَابَ فَرْعَا
 قَدْ أَمَرَ الزَّمَانَ طَوْعًا عَلَيْهِ
 فَتَرَى النَّاسَ خَاضِعِينَ إِلَيْهِ
 أَمْتَعَ اللَّهُ بِالْوَزِيرِ إِمَامًا
 وَأَطَالَ الْبَقَاءَ لِلْمَلِكِ الرَّا

عِنْدَ إِجْحَاشِ رَبْعِهِ الْأُنُوسِ
 نَائِبًا عَنْ نَشِيدِ يَوْمِ الْخُمَيْسِ
 مَسَّةٌ أُعْطِيَ بِهِ يَمِينَ عُمُوسِ
 سِ وَقُحَّرَ بِالسَّبْقِ فِي التَّأْسِيسِ
 سَهْلَ خَيْرًا فِيهَا مِنَ التَّغْنِيسِ
 سَقَى وَحُلَّتْ مَعَاقِدُ التَّلْبِيسِ
 عَالِمٍ بِالزَّمَانِ طَبَّ رَنْسِ
 هِ بِحِفْظِ الرَّئِيسِ وَالْمَرْءِ وَسِ
 رِيَّةٌ مِنْ زُلَالٍ نُضِحَ مَسُوسِ
 تَقَطَّعَ السِّيفَ عِنْدَ حَمِي الْأُوَيْسِ
 قَمَطَرِي بِرِبَمَا يَسْتَقُ عُبُوسِ
 نَ عَلَى ابْنِ اللَّبُونِ فَضْلُ السِّدِّيسِ
 عَرَسَ الْمَلِكُ مِنْهُ خَيْرَ غَرِيسِ
 فَسَخَا بَعْدَ تَفَرَّةٍ وَثُمُوسِ
 مِنْ قِيَامٍ بِأَمْرِهِ وَجُلُوسِ
 خُصَّ مِنْ نُضْحِهِ بِعَلْقِي نَفِيسِ
 ضِي إِلَهَ أَضْفَاهُ وَدَّ النَّفُوسِ

وقد يعلم الله تعالى أن الرازي بالله في حال إمارته وأخاه هارون لما أمر
 نصر الحاجب أن يتقدم إلي بخدمتها وأن يجعل على نوبة لهما يومين في كل

أسبوع، ففعل ذلك، دخلت إليهما فرأيتها ذكيتين فطنين عاقلين إلا أنها خاليان من العلوم، فعاتبت ابن غالب مؤدبها على ذلك، وكان الرازي أذكاها وأحرصهما على الأدب، فحببت العلم إليهما واشتريت لهما من كتب الفقه والشعر واللغة والأخبار قطعة حسنة فتنافسا في ذلك، وعمل كل واحد منهما خزانة لكتبه، وقرأ علي الأخبار والأشعار فقلت: إن الحديث أولى بكما وأنفع لكما من هذه، وهو أولى أن يبدأ به، وجتتها بأعلى من بقي من الزمان إسنادا، وهو أبو القاسم ابن بنت منيع، واختلف إليهما مجالس ونسخت لهما علو حديثه ومشايخه، مثل علي بن الجعد وابن عائشة وأبي نصر التمار، وجميع علومه ومختار حديثه، واحتجنا إلى أن نبره بدنانير، فوجه إلي من جهة والدتهما: والله ما عندنا دنانير لهذا المحدث ولا بنا حاجة إلى مجيئه، فعرفت نصر الحاجب ذلك فقال: خذ له من مالي كل شيء يريد، فأوصل إليه في مدة شهرين أربعمئة دينار.

وقرأ علي من كتب اللغة كتبا كثيرة منها خلق الإنسان للأصمعي، فمضى خدم سمعوا ذلك إلى المقتدر وإلى والدته، فقالوا لهما: إن الصولي علمهما أسماء الفرج والذكر، فدعا المقتدر نصر الحاجب فعرفه ذلك ودعاني نصر الحاجب وكان من أحسن الناس عقلا فسألني عن ذلك، فعرفته السبب فيه، فقال: جئني بالكتاب، فجيته وعرفته أن هذا من العلوم التي لا بد للفقهاء والقضاة منها، وأنهم يلجئون إلى أهل اللغة فيها وأخذ الكتاب وأدخله إلى المقتدر وعرفه ما عرفته، فأزال كل شيء خفته، ثم قلت للرازي بالله: قد أمرت أن تجلس في غد ليملك بحضرتك ابن الجواليقي بدار السيدة، وقد وعدوا جماعة فيهم الحسين بن إسماعيل المحاملي، وسيكر إلى هاهنا في غد، فأرفع مجلسا وأقبل عليه وانبسط في مذاكرته، وإني أحب أن يسمع الناس وصفك والثناء عليك من مثله، ففعل جميع ذلك، ثم حضرت وانقضى أمر الإملاك، فأخذ المحاملي بيد أبي بكر الخرقى، وقال: ما رأيت في أهل هذا البيت شيئا ولا

كهلا ولا حدثا يشبه هذا الفتى يقول حدثنا وأخبرنا وينشد ويعرب، وهذا كله من فعل هذا، وأوما إلي فأحب أن تتحمل رسالتي إلى القهرمانه ريدان، وتقول لها: ما الذي فعلتم بمن صير هذا الأمير في هذا الحال؟ فقلت أنا لأبي بكر: الله يعلم ما أفعل هذا إلا الله عز وجل؛ لأنني أقول لعلها أن يليا من أمور المسلمين شيئا فينفعهم الله بهما، وجعلت أقتضى أبا بكر الجواب فدفعتني أياما ثم قال لي: أنت في طرف والقوم في طرف، أدبت إلى ريدان قول القاضي فقالت لي: إن هذه المحاسن من هذا الرجل عند السيدة ومن يخدمها مساوئ، فقل له: عني يا هذا، ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء، وهذا أبوهم قد رأينا كل ما نحب فيه وليس بعالم فاعمل على ذلك، فأتيت نصرا الحاجب فأخبرته بذلك فبكى، وقال: كيف نفلح مع قوم هذه نياتهم، فقلت: والله ما أعود إليهما بعد هذا، فقال: ولا لك حظ في ذلك، ولكن امض ساعة في الأيام ثم اقطع.

وكان ابن أبي الساج في هذا الوقت بواسطة عازما على لقاء القرامطة وكنت أنفذت إليه رسالة طويلة في كتاب عملته له أوصيه فيه بالمطاوله، وهي رسالة حسنة قد سرقها الناس مني تجمع ضروبا من العلوم، فجاءني في جوابه مع كاتب له يعرف بابن حراشة، وفي آخر الكتاب: وقد بلغني خبرك وقول من قال: لا نريد أن يكون أولادنا علماء، وإنا لله على ما بُلي الناس به، وأفرعني ذلك، وخفت أن يظن أني المبدي لهذا والمتكلم به، فصرت إلى نصر الحاجب فعرفته ذلك، فقال: إن لابن أبي الساج خدما في الدار لا يخفون عنه الأنفاس، وهذا فإنما علمه من جهتهم، فسكنت نفسي إلى ذلك وانقطعت عنهم، وكان لهم بعدي هنة سر^(١) لحجبتهم لها كل أحد، وكان ثم قوم قد نفسوا على موضعي منهم، وكان الراضي وعدني بفص كنت استحسته، فكتبت إليه

(١) في الأصل: أسر لحجبتهم.

بقصيدة أسأله فيها التوجيه إلى بالفص، فكتب إلي إنما أنفرخ بها يرد علي من جهتك فاكتب إلي بشعر صادقي قافيته الفص، فعملت القصيدة وكتبت بها إليه وهي:

أَلَا قُلْ لِحَسْبِ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا
عَمْدِ الْأُمُولِ وَالْمُقْتَدَى بِهِ الْـ
وَمَنْ جَمَعَ الْأَدَابَ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا
دَقِيقِ حَوَاشِي الذُّهْنِ هُدْبَ طَبْعُهُ
بَعِيدِ الْقَبُولِ مِنْ حَسُودِ مُكَاشِرِ
لَسِنْ سَاعٍ لِي أَكْمَلِي وَشُرْبِي فَإِنِّي
وَقَدْ كُنْتُ ذَا حَظٍّ لَدَيْهِ وَرُزْقَةٍ
يَمْسُخِ الَّذِي سَدَى وَالْحَمَّ بَاطِلًا
مِنْ أَكْلِبِ خُوزَسَانَ نَفْلٍ مُحَقَّرٍ
وَأَفَبَ مِنْهُ الْجُمُرَ بِالنَّفْحِ حَابِلٌ
بَسْمُ مَعْوَرَاتِ الطَّرْقِ جَاءُوا بِمَعْوَرَةٍ
أَوْلُو بَطْنِيَّةٍ فِي بَاطِلٍ وَتَكْذِبٍ
فَمَا أَسْتَدُوا قَوْلًا إِلَيَّ ذِي تَمَاسِكٍ
وَيَا لِقَضْرٍ قَوْمٍ إِنْ رَأَوْنَا تَبَلَّفُوا
تَلَافَتَ بِتَأَلِيْبٍ عَلَيْنَا جُفُونُهُمْ
وَمَا قَبِلُوا نُضْحَ الْعَرُوضِيِّ فِي الَّذِي

وَرَهَطًا وَاجْدَادًا مَقَالَةً مُخْتَصَّ
لَأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ ذِي الْفَضْلِ لَا النَّقْصِ
وَتَقَفَهَا بِالْبَحْثِ مِنْهُ وَيَا لِفَخْصِ
وَمُخَّصَّ فِي قُرْبِ الْمَدَى أَبَسًا مَخْصِ
مَخْلَفَ عَنْ أَوْلَاهُ بِالنَّزْغِ وَالْفَرَصِ
كَذِي شَرِّقٍ مِنْ عَيْيْتِي عَنْهُ مُغْتَصَّ
فَجَاءَ الَّذِي حَادَزْتُ فِيهِ عَلَيَّ غَفْصِ
وَقَدْ وَقَصَاهُ عَاجِلًا أَيَّمَا وَقْصِ
ضَيْلٍ خَفِيئِ الشَّخْصِ فِي صُورَةِ الدَّرْصِ
عَلُوقٍ بِأَذْنَابِ الْأَكَاذِيْبِ كَالشَّصِّ
ذَوُ الْأَنْفِ الذُّكَّاءِ وَالْأَعْيُنِ الرُّمِصِ
وَصِدْقُهُمْ يَاوِي إِلَيَّ أَبْطِنُ مُخْصِ
وَلَا تَسِيدُوا زُورَ الْمَقَالِ عَلَيَّ إِصِّ
وَخَطُّوا لَنَا الْأَعْيَاقَ كَالرَّحْمِ الْقُصِّ
وَقَرَقَتِ الْأَقْوَالُ بِالنَّلبِ وَالنَّمِصِ
رَأَاهُ وَرَضُوا إِنْكَهْمُ أَيَّمَا رَضِ

وَكَأَلُوا لَهُ صَاعًا مِنَ النَّثِّ وَالْقَصَصِ
 مِنَ الْحَزَنِ يُنْجِي صَبْرُهُ عَنْكَ بَلْ يُقْصِي
 عَصُوفٍ بِجَدْوَاهُ أَمْرٌ مِنَ الْعَفْصِ
 لَدَيْكَ أَتَاكَ الْقَوْلُ بِالشَّرْحِ وَاللَّخْصِ
 إِلَى نَزْوَانِ الْقُومِ بِالزُّورِ وَالْقَنْصِ
 وَأَسْحَبُ فِي لَدَاتِهِ أَذْيَلُ الْقُمْصِ
 مِنَ الْهَمِّ حَتَّى جَاءَنِي الْأَمْرُ مِنْ قَصِّ
 إِلَى أَنْ يَقُودَ الْقُرْبُ مَنْطِقَ مُسْتَقْصِي
 نَحْيَفَ مَقْرَاضِ الْمُجَازِفِ فِي الْقَصِّ
 عَلَى لُحْقِ الْأَقْرَابِ صَامِرَةَ حُصِّ
 فَأَنْتَهُ بِالْوَجْدِ الْمَوَاشِكِ وَالرَّقْصِ
 فَشُبَّهُ بِالْفَارُوقِ فِيهِمْ أَبِي حَفْصِ
 عَلُوقٍ بِلَحْظِ الْعَيْنِ مُسْتَمْلِحِ الشَّخْصِ
 تَعَاظَمَ وَاسْتَعَلَى بِهِ شَرَفُ الْقَصِّ
 بِتَغْرِيبِ قَوْلِي فِي الْخِطَابِ وَلَا تَمْرُ
 تُدَكَّرُ إِنْجَازًا وَلَسْتُ بِذِي حِرْصِ
 فَيَأْخُذُ مِنْهُ اللَّبْسُ أَخْذَةً مُقْتَصِّ
 بِسِرِّي فَيَعْنَايِهِ بِالرَّشْفِ وَالْمَصِّ
 فَيَحْيِي الرَّأْيِ أَنْ يَرْضَى وَيَتَمَعَّ بِالشُّفْصِ

وَقَدْ هَطَلَتْهُ عَيْتَةٌ مِنْ سَحَابِهِمْ
 وَهَبَّ لَهُ فِي بُعْدِهِ لَكَ قَاصِفٌ
 فَفَصَّ بِشُرْبٍ مِنْ فِرَاقِكَ آجِنِ
 وَإِنْ أَنْجَزَ الْإِمْكَانُ يَوْمًا بِجَلْسَةِ
 فَأَذْنَيْتَ حَقًّا قَدْ أُطِيعَ بِشَخْصِهِ
 فَأَقْبَلُ الْعَيْشَ الْغَرِيبَ بِقُرْبِكُمْ
 بِحَقِّ أَفَاضِ الْقَلْبِ فَاضِلِ شَرْبَةِ
 وَأَطْلَعَ شَخْصَ الْحَقِّ عِنْدَكَ وَجْهَهُ
 نَحْيَفِي زَيْبُ الزَّمَانِ يُعْجِدُكُمْ
 إِلَيْكَ تَرَامَتْ بِِي الْأَمَانِ هِمَّةٌ
 وَخُوصِ سَقْتَهَا الْأَلْ كَأَسْ هَجِيرِهِ
 إِلَى ابْنِ الْأَذِي أَخِيَا النَّرِيَّةِ عَذْلُهُ
 وَقَدْ كَانَ لِي وَعْدٌ عَلَيْكَ بِخَاتِمِ
 شَرِيفِ إِذَا مَا رَفَعُوهُ لِسِيدِ
 فَلَا أَتَا طَالَعَتْ الْأَمِيرَ بِدِكْرِهِ
 وَلَا أَنْجَدْتَنِي مِنْهُ فِي ذَاكَ حُظْوَةَ
 وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يُسَرِّي لُبْسُهُ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَرَعٌ يُقَاوِمُ عُلتِي
 إِذَا لَمْ يَكُنْ كُلُّ الذِّي يَشْتَهِي الْفَتَى

وَلَسْتُ كَمَنْ يُمِضِي عَلَى الظَّنِّ حُكْمَهُ
وَإِنِّي لِأَعْلِي الْمَذْحِ إِلَّا عَلَى الَّذِي
بِذِي هَامَ قَلْبٌ لَا بِخَرِيدَةٍ بِهَا
صَلِيَةٌ عَزَمَ الْقَلْبُ كَالصَّخْرِ قَلْبُهَا
وَلَا يَسْمُولُ لِنَدَةِ الطَّعْمِ قَرْقَفٍ
فَلَوْ كَانَ فِي حِصِّ يَرْجَى شَبِيهُهُ
أَمِيلٌ إِلَى شُرْبِ الْكِرَامِ يُغَلَّتِي
فَقُولُوا لِمَنْ قَاسَ الْأَمِيرَ بِغَيْرِهِ
تَيَمَّمْتَ زُورًا فِي الْمُقَالِ وَبِاطِلًا
تَحَامِسُنْ هَذَا الْخُلُقِ مِنْكَ ابْتِدَاؤُهَا
كَذَا الْمَجْدُ لَا بِالْمَالِ يُجْمَعُ شَمْلُهُ
فَلَا زِلْتَ لِلسُّدْهِرِ الْمَمْلُوكِ مَالِكًا
وَحُزْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ أَقْصَى نَهَائِمَةٍ
وَيَجْعَلُ إِسْنَادَ الرَّجَالِ إِلَى حَصِّ
يُغَالِي بِإِعْطَاءٍ وَلَسْتُ بِذِي نَقْصِ
يَمِيسُ بِهَا غُضْنٌ رَطِيبٌ عَلَى دَعْصِ
عَلَى أَنَّهُ يَكْتَنُّ فِي جَسَدِ رَحْصِ
مَتَاسِبُهَا فِي عُمَرِ كَرِيحِ وَالْفُقْصِ
لَسَاقَ مَطَايَايَ الرَّجَالِ إِلَى حِصِّ
وَلَسْتُ لِأَوْسَالِ اللُّثَامِ بِمُنْتَصِّ
تَأْيِذُ قَمَا الْكَيْلُ الْمُحْصَلُ كَمَا الْخَرْصِ
لَدَى حُرْقِ سَادَ الصُّخُورِ عَلَى رَهْصِ
وَيَجْذِبُهَا دُو كَلْفَةِ مِنْكَ كَاللُّصِّ
وِبِالدُّورِ شَيْدَتْ بِالْقَرَامِيدِ وَالْجِصِّ
يَطِيعُكَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ وَلَا يَعْصِي
نَفُوتُ مَدَى الْإِحْصَاءِ فِيهَا يَدُ الْمُحِصِي

فوجه بخاتم فسه يا قوت سمانجوني، ووجه معه بصله، وكتب إلي ما أعرف والله مثل هذه الصادية لأحد وقد بخستك في القيمة اضطارارا لا اختيارا، إلى أن يستقيم الزمان إن شاء الله.

وإنما آتي من الأشعار التي قلتها في الراضي بطرف للحاجة إلى المعنى الذي قيلت فيه، وإلا فالشعر كثير فيه، وقد أتيت في عملي أخبار المقتدر بشيء يسير منه إلا أنني آمل ألا يستهجن الأدباء ما أورد منه لصلاحه وصفوته وصعوبة قوافيه وسلامته مع ذلك من تكلف يهجنه وسخافة لفظ ترذله إن شاء الله.

وتمزق الأمر بين محمد بن ياقوت ومحمد بن علي بن مقله، واستبد ابن ياقوت بالأمر دونه ولم يمض أمرا إلا بتوقيعه، ونظر في الأموال، ورمى بأكثر أمره إلى كاتبه محمد بن أحمد القراريطي، إلى أن أظهر الوزير إطباق دواته، وترك النظر في شيء البتة، فإذا اضطر أن يوقع في أعمال أو ينظر في أمر مال عرضت توقيعاته على ابن ياقوت فما أراد أمضاه رضىه وقع فيه بامضائه، وما لم يرده لم يوقع فيه فبطل، ولم يلتفت إلى توقيع غيره، فما زال الوزير يعمل في أمره حتى قبض عليه، وأنا أذكر ذلك في حوادث السنين إن شاء الله.

وكنا ليلة نشرب مع الرازي فوصلنا وجيء برغيف كبير بحرف وافر قد عمل من ند فرمى به إلينا وقال: انتهبوه فبدروني فاستلبوه دوني وسخفوا وتبدلوا حتى تكشف واحد منهم وكل ذلك بعينه فسألته العوض فقال: صف أمرك معهم وصف الزبيدية فإنك مشغوف بها وأنا على العبور عليها حتى أعوضك وانصرفت فعملت في ذلك قصيدة زائية قلت من خير زائية قيلت قط؛ فلذلك أذكرها وكان ذلك في أيام النيروز وهي:

بَارَكَ اللهُ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ	بَسَّاسِ خَيْرِ الْمُلُوكِ فِي النَّيْرُوزِ
وَأَرَاهُ أَوْلَادَةَ الْغُرِّ أَجْدَادًا	ذَا يَمْلِكُ نَامٍ وَعَزَّ عَزِيْرُ
فَهُوَ أَوْلَى بِهِ وَبِالْجُودِ فِيهِ	مِنْ أَبْرُوْرٍ وَمَنْ قَيْرُوزِ
لَهُمْ فِي الْهَلَالِ هُزْمُ رُوزِ	وَلَنَا الدَّهْرُ فِيكَ هُزْمُ رُوزِ
فَأَقْتَبِلْ جِدَّةَ الزَّمَانِ بِعَامِ	بَارِيْرٍ بِاللُّجَيْنِ وَالْإِبْرِيْرِ
ضَاحِكَاتِ أَيَّامِهِ طَائِعَاتِ	طَاعَةَ الْحَبِّ بَعْدَ طُولِ النَّشُوزِ
وَأَقْضِ حَقَّ النَّيْرُوزِ فِيهِ بِكَأْسِ	مُزَعِّجِ سَقَمِيْهَا بِكَأْسِ وَكُوزِ
فِيهِ نَقِشُ مُلُوكٍ مِنْ يَدِي مَنْ	لَمْ تَسْشُبْهُ مَعَايِبُ التَّلْوِيْرِ

طَلَعَتْ شَمْسٌ وَجْهَهُ نَحْتِ دَاجِيِ الْ
 مِنْ عُقَارِ تَرَى الْفَتِيَّةَ مِنْهَا
 يَشْتَكِي كَرْمُهَا الْأَوَامَ لَدَى الْقَطْ
 وَعَلَى مُقْبِلِ مِنَ السَّعْدِ مَجْجُو
 بِالزُّبَيْدِيَّةِ الْمَشْهُرَةِ الْحَسَنِ
 وَصُنُوفِ مِنَ الْجَوَاهِرِ تَبْدُو
 يَلَامِينَ حَكِي قُرَاصَةَ تَسِيرُ
 يَضْحَكُ الْوَرْدُ عِنْدَهُ بَيْنَ نَسِيرِ
 وَرِيحٍ مِنَ الرَّيَاحِينَ أَدَتْ
 وَبِهَا مِنْ حَجَّاحٍ هَامٌ زَنْجِ
 وَمِيَاهٍ يَشْكُو الْجُدَاوِلَ أَبْسَا
 وَيُنَارِ نَجِهَا الْمَحْمَلِ تَبْرَا
 وَتَخِيلُ تَرْفَعُ النَّوْعُ مِنْهَا
 وَبِهَا الطَّلَعُ مِثْلُ بَيْضِ أَكْفٍ
 وَتَجَافَتْ عَنْهَا الْجُفُوفُ فَشَبَّهَتْ
 كَمَ زَمَانٍ مَضَى بِهَا مُسْتَلْدٌ
 قَبْلَ أَنْ تَرَحَّلَ الْبَوَارِحُ عَنَّا
 شَعْرَ الْجَعْدِ صِبْغَةَ الشُّبْرُوزِ
 عَجَزَتْ عَنْ كَمَالِ حُسْنِ الْعَجُوزِ
 فِي وَمَا زَالَ كَارِعًا فِي الْبُرُوزِ
 بِ عَنِ النَّخَسِ وَالْأَذَى مَجْجُوزِ
 نِ وَحَوْزِ اللَّذَازَةِ الْمَاخُوزِ
 كُلَّ يَوْمٍ مِنْ كَنْزِهَا الْمَكْنُوزِ
 فَتَقُوا طَيْبَهُ بِمَرْمَاحُوزِ
 نَ وَيُسْتَبَانِ لِعَبِهِمْ آيُرُوزِ^(١)
 نَشْرَ مَسْكَ بِعَنْبَرِ مَعْرُوزِ
 مُشْرِفَاتِ الطُّسْلَى عَلَى سَبِينِزِ
 لَمْ تُمَرِّقَهُ حَادِثَاتُ النَّزُوزِ
 وَمِيَاهِ مِنْ آسِهَا الْمَجْرُوزِ
 عَنْ جِوَارِ الْأَنْقَالِ وَالشُّهْرِيزِ
 بَسْرَزَتْ مِنْ مَحْصَرَاتِ الْقُرُوزِ
 نَ كَمَا مَا مَفْتَقَاتِ الدُّرُوزِ
 لَيْلُنَا فِيهِ مِثْلُ لَيْلِ الْحَزِيزِ
 وَمُحْطَطِ الرَّحَالِ مِنْ تَمَّوزِ

(١) كذا بدون إعجام مع ضم الهاء، وفي قاموس أدي شير (بستان أبروز) وهو نبات.

عَزَزَ الدِّينَ أَيَّمَا تَعَزُّزٍ^(١)
 نَحَّتْ حِرْزٍ مِنَ الْقَضَاءِ حَرِيْزِ
 رَاوٍ مِنْهُ الزَّمَانُ أَذْكَى مَرُوزِ
 زَبِيْمُنِ التَّسْدِيْرِ خَيْرٌ مَّخْزُوزِ
 كُتْلُ يَوْمٍ مُجَدِّدٍ بِكُنُوزِ
 مِنْ حُسَامٍ عَلَى الْأَعَادِي جَرُوزِ
 رَاخِطَافًا وَعَامِلٍ بِمَجْلُوزِ
 مِنْهُ فِي أَنْفُسِ السُّورَى مَرْكُوزِ
 نَبَمَزْدَى الرَّدَى وَلَا مَجْنُوزِ
 وَتَبِيْطُ لُهُمْ عُنَاةٌ وَخُوزِ
 تَحَقَّقَ اللهُ ذَاكَ مَنْ تَغْرِيزِ
 وَكَسَيْفِ عَلَى الْعِدَا مَهْزُوزِ
 بَحَّ فِيهَا كَحَاثِرِ مَلْهُوزِ
 فِي مُرَاعَاتِهِ وَلَا مَلْمُوزِ
 غَيْرِ مُسْتَنْقَصٍ وَلَا مَغْمُوزِ
 وَهُوَ ذُو حُنُكَةٍ وَرَأْيٍ مَرِيْزِ
 سَحَّةٍ جِسْمٍ بَلِيْلَةٍ الْمُنْكَوزِ

رَضِيَ الرَّاضِيَ الْإِلَهَ لَمْلِكِ
 فَهُوَ وَبِاللهِ فِي تَحَلُّلِ أَمَانِ
 أَيَّدَ اللهُ مُلْكَهُ بِنَصِيْحِ
 بِوَزِيرٍ مَوْئِدِ الرَّأْيِ قَدْ حَا
 فَكُنُوزِ الْأَبَاءِ ثَابِتَةٌ مِنْهُ
 قَلَمٌ يَمْلِكُ السُّورَى فَهُوَ أَمْضَى
 وَمَنْ السُّهْمِ حِينَ يَسْتَلِبُ الْعُمُ
 حَتَفَ اللهُ مَرْدَوَاجَ بِحَدِّ
 كَمْ عَدُوٌّ أَبَادُهُ غَيْرَ مَقْبُوسِ
 وَكَذَا يَسْتَمِرُّ فِي كُتْلِ عَاصِي
 غَرُّوْا كَالْجُرَادِ نَسَلِ فَسَادِ
 فَهُوَ كَالشَّهْدِ لِلنَّصِيْحِ الْمُوَالِي
 لَمْ يَضُقْ بِالْأُمُورِ صَدْرًا وَلَا أَضْ
 وَعَلَى كَذَاكَ غَيْرُ ظَنِّيْنِ
 بَلْ يُنَادِي الْأَعْدَاءَ مِنْهُ بِرَأْيِ
 قَرِدَاءِ الشُّبَابِ ضَافٍ عَلَيْهِ
 كَمْ عَدُوٌّ يَبِيْتُ مِنْهُ عَلَى ص-

(١) في الأصل: عزا ذا الدين مع فتح النون.

مُفَرَّدَ السَّبِقِ غَيْرَ مَا مَلَزُونُ
 زَائِقٍ لُبْسُهُ لِيَسَّاسِ الْخَمَزُونِ
 فُ لَعِيسٍ نَحْتِ الرَّحَالِ جُمُوزِ
 سُبْقِي الْجُزْيِ ظَاهِرَاتِ السَّبْرُونِ
 غَيْرِ مُسْتَهْجِنٍ وَلَا مَكْرُوزِ
 ثُمَّ زَايٍ مُبِينَةِ التَّبْرِيزِ
 مَا تَغَشِيهِ ظُلْمَةُ التَّكْرِيزِ
 غَيْرِ مُسْتَجَلِبٍ وَلَا مَنَحُوزِ
 بِهٖ بِأَنْفِ جُجَدِّعِ تَحْزُونِ
 لَامِعَاتٍ مِنْ ذَلِكَ التَّطْرِيزِ
 بَعْضِ صَيُودِ مُعَاوِدِ التَّكْرِيزِ
 فَائِضِ عِدْهَا يَبْشُرِ نَكُوزِ
 شُعْرَاءَ بِأَلْحَطِّ وَالتَّجْوِيزِ
 هٖ غِلَابَا كَفَّارَةِ التَّكْلِيزِ
 مُخْلِقَاتٍ وَمَنْطِقِي مَرْمُوزِ
 بِقَصِيرِ عَنِ الْمَدَى مَوْكُوزِ
 مِنْ طَرِيقِ إِلَيْهِ غَيْرِ جُجُوزِ
 وَءٍ عَنِ خُطْوَةِ الضَّعِيفِ الْعَجِيزِ
 مُوَجِّعِ مَنْ تَأَسَّفِ مَوْحُوزِ

بِأَجَلِ الْمُلُوكِ عَقْلًا وَعِلْمًا
 لَكَ عَبْدٌ كَسَاكَ فَاخِرَ مَدْحِ
 لَمْ يَثْبُتْهُ ذِكْرُ النَّسَبَائِبِ وَالْوَضِ
 مِنْ قَوَافِ عُلَى سِوَاهُ صِعَابِ
 خَطَّزَتْ نَحْوَكَ الْقَوَافِي بِمَدْحِ
 بَيْنَ صَادٍ وَبَيْنَ ضَادٍ وَسِينِ
 سَائِلِ الطَّبَعِ مُشْرِقِ اللَّفْظِ سَهْلِ
 فَائِضِ مَاؤُهُ يَمِيءُ مُطِيعًا
 يَرْجِعُ الشُّعْرُ عَنْهُ حِينَ يُسَامِيهِ
 مَنْ يَسْرُمُ نَسَجَ مِثْلِهِ تَخْتَطِفُهُ
 قَصَرَ الْمُخْلِيفِ الْمَعْلَمِ عَنِ قَيْدِ
 وَكَذَا لَا يَكْفِاسُ بَيْنَ خَسِيفِ
 جُرْزَتْ فِيهِ مَيْسَدَانِ قَوْمِ أَرَاهِمِ
 يَسْتَمِيرُونَ لَفْظَ غَيْرِهِمْ فِيهِ
 بِقَوَافِ مَدُوسَةٍ وَمَعْمَانِ
 وَكَزُوهُ لِيَلْحَقُوهُ فَآبُوهَا
 حَرِمُوا الطَّبَعِ صَاغِرِينَ فَسَارُوهَا
 عَجَبٌ وَالْقَضَاءُ يُقْعِدُ ذَا الْقُوَّةِ
 كَيْفَ بِجُيِّ التَّجْوِيدِ صَاحِبِ قَلْبِ

لا أرى كارعا لهم في إناء
 ليس لي غلة مخصّل مما
 لا ولا لي في أرضهم قيد شير
 ذرة الفزر هاميات علىيهم
 غرروا أرجل الطماعة في ركن
 لو يكون التجويد دار نواء
 قلت إذ جوزت بغير انتقاب
 فاز منهم جماعة بأناس
 لست أزوجو سواك بعد إلهي
 ووزرين جه زاني بجدود
 حين عي الزمان عن ذكر حظي
 أنت أدري بالشعر من قائله
 وكذا العلم بالمحرك والسا
 ليس إلا الذي يضمهم المبح
 فهم فوق من يري قول حق
 فأجزني بقدر علمك بالأتم
 يدنانير لا أحال على الجهم
 ورغيف الند الذي غصبونيد
 غلبتني عليه أيدي نساب

لا ولا في بحرهم ذائبوز
 في موازينهم ولا في قفيوز
 في وهادهم ولا في نثوز
 ولنا ذرة القطوع العزوز
 سب أحست مقدارهم وغرور
 لم يجوزوا منها مدى الدهليز
 لك حظ الفئاع فينا فجوزي
 واتكالي علىيك في التفوز
 عند تقصيديهم ولا الترجير
 نغشاني بذلك التجهير
 جبراً فاقني بجدود وجير
 فاقض فيه بالخزم والتعجير
 كن في نحوهم وبالمهموز
 لس للالتحال والتهميز
 غير مستتكر ولا منهور
 عارينا خير منعيم ومجير
 يذفيها ولا على كتب روز
 وأكرم بذلك من مجنوز
 نهزته بحظها التهموز

سَبَقْتَنِي إِلَيْهِ سَبَقَ ذَنَابِ
 كَانَ خَتَلًا مِنْهُمْ كَخَتَلِ الْخَوَارِ
 لَوْ خَشِينَا الْبِدَارَ مِنْهُمْ لَعَنَّا
 ثُمَّ آبَوْا بِجَانِبِ طَيْبِ النَّشْرِ
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ مُلْقَى كَثْرَتِ
 قَدُمُو عِي مِنَ التَّائِبِ تَجْرِي
 بَجَرَّتَنِي قَوَائِمُ الْحِظِّ مِنْهُ
 قَدَرَأَى سَيْدِي وَتُوفِي حَيْرَا
 فَبِئْسَ مَا سَيْدِي بَقَاءَ نِيرِ
 وَمَلَّ الشُّرُورَ سَائِرَ مُلْكِ
 تَخَطَّى مَدَاسَ كُلِّ إِمَامِ
 خَاطِفَاتٍ بِرِزَّةٍ وَأَزْبِرِ
 فِي سَيْفِ اللَّهِ ذِي الرَّدَى جُرْمُوزِ
 فِيهِمْ كَاللُّيُوثِ فِي الْأَمْعُوزِ
 وَابْنَا بِجَانِبِ نَجْبِوزِ
 وَافِرِ الْحَرْفِ مُشْرِفِ التَّفْرِيزِ
 جَرِي وَفَرَاءِ وَافِيَاتِ الْخُرُوزِ
 وَابْلَاكِي مِنْ حَظِّي الْمَجْمُوزِ
 نَ كَمْ ضَمِي الرَّمِيَّةِ الْمُتْرُوزِ
 غَيْرَ مَا مَزَعَجٍ وَلَا مَحْفُوزِ
 غَيْرَ مُسْتَنْقِصٍ وَلَا مَبْرُوزِ
 قَاهِرَ الْعَزَّ غَيْرَ مَا مَعْرُوزِ

فلما أنشدته إياها استحسناها وقال: ما أعرف زاءية مثلها: بل لا أعرف زاءية إلا للشهاخ: وتلك عجوز وهذه شابة: ثم عوضني أحسن تعويض بصلة وند وعنبر.

ولما جاء بحكم وهزم ابن رائق قال لنا: ما أحسن هذه الأبيات في المعنى الذي نحن فيه وأنشدنا:

إِذَا قَلْتُ يَبْرًا بَعْضُ دَاءِ عَشِيرَتِي
 كَمَا نُشِرَتْ خَشِيَّةُ الْعَرِّ بَعْدَ مَا
 وَمَوْلَى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ
 تَلَاقَتْ غَوَاةً وَاسْتَجَدَّ نَشُورِ
 عَلَا اللَّوْنُ بُرَّةً ظَاهِرًا وَطُرُورِ
 كَمَا لَمْ يُطْعَمَ بِالْبَقْتَيْنِ قَاصِرُ

فَلَمَّا رَأَى أَنْ شَتَّ أَمْرِي وَأَمْرُهُ وولت بأعجاز الأمور صُدور
تَمَنِّي حُبِيْشٌ أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وقد حدثت بعد الأمور أمور

كذا أنشدني تمنى حُبَيْش ثم قال: أتعرف مثله؟ قلت: لا، ولكن نحوه
لطارق بن ديسق اليربوعي:

إِذَا أَنْتَ جَاوَرْتَ أَمْرًا السُّوءَ لَمْ تَزَلْ عَوَائِلُهُ تَأْتِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
وَفِينَا وَإِنْ قِيلَ اضْطَلَحْنَا تَضَاغُنْ كما طرأ أوتار الجرابِ على النَّشْرِ

ثم قلت: إن سيدنا - أطال الله بقاءه - نشأ في حجر الصواب، فمن أين له
تمنى حُبَيْش؟ فقال لي: من حيث لا يطيف براويه عيب، فقلت: لو أن أبا عمرو
بن العلاء روى هذا لكان أخطأ ناسه^(١)، فقال: إن الطبري يقول هذا في كتاب
تاريخه^(٢)، فقلت له: الطبري ليس في الغريب مثله في غيره روى الأصمعي
وأبو عبيدة وابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني

تمنى نبيشا أن يكون أطاعني

ومعناه: أنه تمنى شيئاً^(٣) بعدما فاته، يقال: رأى هذا نبيشا إذا رآه في آخره،
وقد فات قال بلال بن جرير:

كَمْ نَاصِحٍ قَدْ قَالَ لِي وَمَا وَشَا إِنَّكَ لَمْ تَنَاشُ لَوْصِلِ مَنَاشَا

(١) في الأصل: أخطأ ناسًا.

(٢) الذي في الطبري: تمنى نبيشا.

(٣) كتب بهامش النسخة بخط مغاير: تمنى نبيشا.

يقول لم تطلبه في أوله وأنشدته:

تَسَاءَتْ عَنْكُمْ عُذُسُ بْنُ زَيْدٍ قَلِمٌ يَعْرِفُكُمْ إِلَّا نَيْسًا

يريد إلا خيرًا فقال لي: فلعل الوراق أخطأ عليه؟ قلت: لا، ولكن الطبري رأى نيسًا في كتاب، ولم يدر ما هو فظنه حيشًا، اسم رجل، وهذا الشعر لنهشل بن جزى^(١) النهشلي، وهو في الخزانة، فوجه فطلبه فلم يجده، فقلت له: وهذا أيضا عجب يتحدث الناس بأن سيدنا مع جلالة علمه وعلو نعمته - عمل خزانة كتب كما عمل متقدمو الخلفاء، طلب فيها شعر هذا الشاعر المشهور فلم يوجد، قال: فما الحيلة وقد شغلنا غيرها عنها؟ قلت: كتب عبيدك لك فتبتدئ في عمل الأشعار من الخزانة، تبدأ بمضر ثم ربيعة ثم اليمن، فما لم يكن فيها حملة عبيدك من كتبهم وما كان سماعا لعبيدك أو شيئًا لا يعتاضون منه نسخه وراقوك الذين تجرى عليهم، وجلده مجلدو الخزانة، فسكت كالمفكر فقلت له: إن الذي قلته ليس لشيء أجتلبه إنما هو حيف على كتبي ولكنني آنف أن يتحدث الناس بشيء يفعله سيدنا لا يكون في نهاية الجلالة فقال ويحك فإذا جاء ما يشغل كيف نصنع؟ قلت: يجعل سيدنا هذه الخزانة للأميرين ويقتصر على ما يريد النظر فيه قال: أما هذا نعم فأمر بإخراج الكتب إليه يومًا يومًا، وأجلسنا فميزناها وقسمها بين يديه بين ابنيه واقتصر على ما أراد ووهب لنا الباقي فاقسمناه وكان أكثره ما يباع وزنا.

تفسير الأبيات

النشر هو أن يجرب البعير فيبرأ غير برأ تام وتبقى بقية من جربه؛ أي: قليل فينبت وبره عليه، فيكون ظاهره برء وباطنه سقم، يريد الشاعر، وكذلك نحن

(١) في الطبري: حري.

ظاهرنا جميل وصلاح وباطننا شر وحقد ونحوه :

وقد يَنْبْتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الشَّرَى وَتَبْقَى حَزَارَاتُ النَّفُوسِ كَمَا هِيَ

وهو النشر بفتح الشين، وإنما يسكنها الشاعر لضرورة الشعر ثم لم يرخص حتى سأل القاضي عن هذا؟ فقال: رواه الطبري على خطأ والصولي كثير السماع، فمن هذا لا يحكي إلا صواباً: حدثني القاضي بذلك، وقال لنا الراضي بالله: كأني بالناس يقولون: أرضي هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركي، حتى يتحكم في المال ويتفرد بالتدبير، ولا يدزون أن هذا الأمر أفسد قبلي، وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي، فسلمت إلى ساجية وحجرية يتسحبون علي ويجلسون في اليوم مرات، ويقصدونني ليلاً ويريد كل واحد منهم أن أخصه دون صاحبه، وأن يكون له بيت مال وكنت أتوقى الذماء في ترك الحيلة عليهم إلى أن كفاني الله أمرهم، ثم دبر الأمر ابن رائق فدبره أشد تسحبا في باب المال منهم، وانفرد بشربه وهواه، ولو بلغه وبلغ الذين قبله أن علي فرسخ منهم فرسانا قد أخذوا الأموال واجتاحوا الناس، فقليل لهم: أخرجوا إليهم فرسخا لطلبوا المال وطالبوا بالاستحقاق، وربما أخذوه ولم يبرحوا، ويتعدى الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية، بل على أسبابي، وأمر فيه بأمر فلا يمثل ولا ينفذ ولا يستعمل، وأكثر ما فيه أن يسألني فيه كلب من كلابهم فلا أملك رده وإن رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا، فلما جاء هذا الغلام جاء من لا يقول لي صنعتك أو أجلستك كما كانوا يقولون، بل اجترأنا عليه بالاصطناع، ووجدته إن تعدى أحد من أصحابه لم يرخص إلا بقتله والمبالغة في عقوبته، وإن بلغه أن عد وقد تحول في ناحية نهض إليه فسبق خبره من غير اعتساف لي بطلب مال ولا تلبث لوفاء استحقاق فرضيت ضرورة به، وكان أوفق لي وأحب إلي ممن قبله وكان الأجود أن يكون الأمر كله لي كما كان لمن مضى قبلي، ولكن لم يجز القضاء بهذا لي!

وكان دعا بجكم مرات، ما منها مرة إلا وهو ينفق عليه في خلعه، وما يحمله معه عشرون ألف دينار، وزيادة عليها من صواني ذهب وفضة وعنبر وند ومسك وكافور وبللور.

وعلم أن عادته في داره وحشمه ألا يشرب الماء إذا جاءه حتى يذوقه بين يديه الذي جاء به يصب منه في إناء معه فيشر به ثم يناوله إياه، فكان يستعمل الراضي معه هذا إذا حمل إليه لون وضع بين يدي الراضي أولاً فأكل منه، ثم وضع بين يدي بجكم، وكذلك التبيذ وجميع ما يوضع بين يديه، وكان يستعفيه من هذا فلا يعفيه.

ولقد قبل في آخر دعوة دعاه فخذته ويده فضمه الراضي إليه، وأخرج من إصبغه خاتمين فوضعهما في إصبغه، أحدهما يشبه الجبل في حرته وكبره، فنظر ابن حمدون إليّ ونظرت إليه واغتمنا أن يكون الجبل في يد غيره ففطن لنا، فلما انصرف بجكم قال لنا: قد رأيت نظركما وقت الخاتم وأحسبكما ظننتما الجبل ليس به، ولكنه أقرب فص في الدنيا شبهًا به.

ولقد قال لي بجكم بعد موت الراضي، وأنا معه بواسط، وعلى رأسه من خدم الراضي جماعة: إن هؤلاء حدثوني أن الراضي أراد أن يقبض علي في بعض دعواته، أفكان كذا؟ فقلت له: الأمير يعلم أن الراضي لا يرجى في هذا الوقت ولا يخاف، وبالله ما استبنا منه ذلك في حال صحوه ولا سكره ولا جده ولا هزله.

وما كان إلا محبباً للأمير مغتبطاً به، ولقد كان يتصنع في مدح ابن رائق حين كرهه، ويقرظه ويصفه فما كان يخفى علينا ضميره فيه هذا من قبل أن يظهر لنا ما في نفسه عليه، فقال لي: صدقت والله وكذب هؤلاء، وما يدريهم؟ كان الأمر عندي كما قلت ثم حدثته بما قد ذكرته من قول الراضي: «أنا أعلم أن الناس

يقولون...».

فضحك وقال: ما كان إلا نهاية في عقله ودهائه وملقه؛ يريد بجكم هذه وإن لم يلفظ بهذا اللفظ، ولكني أعتب عليه بأنه كان شديد الجبن يؤثر لذته وشهوته على رأيه.

فعجبت والله من عقل بجكم، جاء والله بعبيبه اللذين ما كان فيه غيرهما، ثم حدثته أنا كنا نقف على مكاتبته الأمير سرًا ليأذن له في المصير إلى بغداد ويشكو إليه ما كان يجري عليه من ابن رائق فيكتب إليه: «عليك بالوفاء لمن اصطنعك، وأحسن إليك».

إلى أن كتب إليه الأمير: «أعوذ بالله أن يكون مولاي يريد قتلي كما يريدك ابن رائق؛ لأنه أعطاني جيشًا بهال معلوم ثم لم يوفني استحقاقهم، وهذا يبقى على دمي». وأنه لما ورد عليه كتاب الأمير بهذا كتب إليه: «والله ما أحب أن يتأذى بشيء أقل جندك وأتباعك لموضعك عندي، وما يستحقه شجاعتك ومناصحتك، فكيف أحب ما ذكرته فيك، وإذ صار الأمر إلى هذا، وجعلت وصيتي لك بالتمسك بالوفاء وحسن العهد سببًا لزوال أمرك فما أحب هذا، افعل ما يصلحك».

فلما قرأ الأمير هذا الكتاب أقبل إلى بغداد، فقال: كان كذا والله ماجئت حتى جاءني هذا الكتاب، قلت: ثم وقفنا في وقت من الأوقات أن الأمير اتهمه بأنه كاتب في أمره بعض من يصلح للمكاتبة في مثله، وأن ذلك اتصل به فوجه إلى الأمير:

«قد علمت الحال التي كنت عليها لابن رائق في كراهتي له في آخر أيامه؛ وما أجرى إليه مما يستوجب به إزالة أمره ومكاتبتك لي بها كاتب، فإن كنت مع تلك الحال أذنت لك في مكروهه، أو تغير عليه مع سخطي وغضبي فإني

سأكتب فيك على بعد ما بينكما، وأنا في هذا الوقت مغتبط بك راض بجميع فحك وأمرك» فضحك بجكم فقال: كذا كان، وأزال هذا جميع ما بقلبي مما توهمته، وعلمت أنه صادق فيه.

قال الصولي: وما رأيت الرازي يقرظ أحدًا تقرظه الأمير أبا بكر محمد بن طنج، فإنه كان يصفه ويرضى جميع ما هو عليه، وإذا جاءته هدية من قبله استحسنت جميعها وفرق علينا منها، وكان يقول إذا ذكره: «رجل كبير العقل حسن الطاعة، يشبه أجلاء الموالى الماضين، وما أدري بما أكافئه» ثم أمر فكتبت عنه كتبًا بأنه قد سماه الأخشاذ، وأمره أن يسميه به جميع الناس.

ولما جاءته هديته في آخر أيامه التي كان فيها الخدم الذين يغنون ويرقصون قال: «لقد خصني بما لم يملك مثله خليفة قط - وكان ربما قال بغير حضرة من لا يثق به - لو كان مثله عندي وكان جيشه مكان هذا الجيش! فإنه أشبه بجيش آبائي، وأشد تمسكًا بطاعتي».

ولقد ذكره يومًا فقرظه ووصفه، وكان قد تغير لابن رائق تغيرًا أبداه لي وللعروضي حتى يقرئنا رقعًا له إليه وجواباته له، وربما أقرأنا أهاجي قد هجاه بها.

فقال بعقب وصفه للأمير الأخشاذ وذمه لمن ذم: كيف كنت حدثتني عن عمارة بن عقيل مع خالد بن يزيد الشيباني، وتميم بن خزيمة بن خازم التميمي؟ فقلت له: حدثتني القاسم بن إسماعيل أن عمارة حدثه: أنه أضاق فصار إلى تميم بن خزيمة وهو تميمي من رهطه، فسأله فاعتل فجاء إلى خالد بن يزيد الشيباني وهو من ربيعة بعيد النسب منه، فسأله فأعطاه وأكرمه واعتذر إليه، فقال عمارة يفضل خالدًا عليه:

أَتَرَكُ إِنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِسِيْدٍ زِيَارَتَسُهُ إِيَّيْ إِذَا لُمِّيْمِ

فَلَيْتَ بِثَوْبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ . وَكَانَ لِيَكْبُرَ بِالثَّرَاءِ تَمِيمٌ
فِيضِيحُ فِي قَوْمِي أَغْرُ مُحَجَّلٌ . وَضُضِيحُ فِي بَكْرِ أَغْمُ بِهِيمٌ

ولعمارة أهاج في تميم ومدح لخالد بن يزيد كثيرًا.

فقال لي الراضي لما سمع هذا: «فليت!» يريد فليت لي الأخشاذ بابن رائق، وهذا ظريف مما كان يقوله ولكنه ينبئ عن جميعه، وكذلك صنعت في أشياء اختصرتها لئلا يطول الكتاب بها.

ولم يزل الراضي ذكيًا عاقلًا مذ كان صبيًّا؛ قرأ يومًا أبياتًا من الشعر في الغزل، فقال لي اعمل في نحوها فعملت:

يَا مَلِيحَ الدَّلَالِ رَفَقًا بَصَبٌ يَسْتَكِي مِنْكَ جَفْوَةٌ وَمَلَالًا
نَطَقَ السُّقْمُ بِالَّذِي كَانَ مُجْنَفِي فَمِيلَ الْجِسْمُ إِنْ أَرَدْتَ سُؤَالَ
قَدْ أَتَاهُ فِي النَّوْمِ مِنْكَ خَيْالٌ فَرَأَاهُ كَمَا اشْتَهَيْتَ خَيْالًا
يَتَحَامَاهُ لِلضَّنَى أَلْسُنُ الْعَدُوِّ لِقَاضِحِي لَا يَنْفِرُ الْعُدَاةُ

فقال لي: سأعمل في نحوها، فتنحى وأخذ دواة وعمل بحضرتي:

فَلَيْبِي لَا يَفْبُلُ المِحَالَا وَأَنْتَ لَا تَبْدُلُ الوِصَالَا
ضَلَلْتُ فِي حُبِّكُمْ فَحَسْبِي حَتَّى مَتَى أَتْبَعُ الضَّلَالَا
قَدْ زَارَنِي مِنْكُمْ خَيْالٌ فَسَزِدْتُ إِذْ زَارَنِي خَيْالَا
رَأَى خَيْالًا عَلَى فَرَاثِي وَمَا أَرَاهُ رَأَى خَيْالَا

فلحن هذا الشعر بعض الطنوبريين؛ وغنى فيه فحدهه يومًا مضحك كان يدخل إليه، أنه حضر مجلسًا غنى فيه بهذا الشعر، فقال هو: هذا لسيدنا الأمير.

فقال كاتب كان في المجلس: هو لفظ الصولي وشعره فحلقت على ذلك فأقام على قوله.

فقال له: «عرفني هذا الكاتب» فظن أنه يريد سوءاً فيه، فقال: «لعلك وهمت أني غضبت من قوله، لا والله، ولكني استحسنت علمه بالشعر؛ لأن الصولي علمني الشعر وأنا أتبع ألفاظه وأنحو مذهبه» فلما قال هذا ما قال وهو لا يعرف حقيقة أمري علمت أنه لم يقل هذا إلا عن علم بالشعر، فأحببت بذلك أن أحسن إليه، إذ كانت فيه هذه الفضيلة، فعجبت من حسن عقله وتمييزه.

وكنا يوماً بين يدي الرازي وهو يشرب، فلغظ الجلساء، فجذب الدواة والدرج وكتب فيه شيئاً وناولنيه فإذا فيه:

لما برمت براحي وانقضى الأدب قرنتها بأناسٍ شاتمهم إرب
تراهم الدهر لا يزوون من لفظ على المدام فلا التذوا ولا شربوا

ولم يزل الرازي نحو سنتين من خلافته، لا يشرب النبيذ ونشره نحن بين يديه، وربما شرب الجلاب وأنا مصوب له ذلك، مساعد عليه حتى أغواه أصحابنا فقال: «إني أعطيت الله عهداً ألا أشربه أبداً».

وكتب رقعة بلفظه يمينه وعرضها على الفقهاء، فوجد رخصة، فوجه بألف دينار إلي لأتصدق بها عنه وشرب، وقال لي يوماً أنشدني تشيب قصيدتك البائية في ابن فرات، فإنه عندي أحسن تشيب سمعته قط فأنشدته:

سَيِّدِي أَنْتَ إِنِّي بِكَ صَبٌّ بَيْنَ أَيْدِي الْهُمُومِ وَالشُّوقِ تَهَبُّ
وَشَفِيعِي إِلَيْكَ أَنِّي مُحِبٌّ وَقَدِيمًا أَحِبَّ مَنْ لَا يُحِبُّ
بَعَثَ الْحُبُّ لِي سَقَاتًا فَأَعْدَى بِي حُزْنًا مَبَادِئًا مَا يَغِبُّ

لَيْسَ لِي نَيْةٌ أَسْلَى بِهَا النَّفْسَ
 صَاعَ صَبْرِي وَأَخْلَفْتَنِي ظُنُونٌ
 غَيْرَ أَنِّي أُرِحْتُ مِنْ قَوْلِ لَاحٍ
 عَذَلِ الْعَادِلُونَ فِيكَ وَقَالُوا
 لَكَ خَدْمُورُودُ اللَّوْنِ سَهْلٌ
 وَجَبِينُ تَلَالُأُ الْحُسْنُ فِيهِ
 وَجَفَوْنَ مُفَسَّرَاتٍ مِرَاضٍ
 وَقَوَامٍ لِلرَّيْحِ فِيهِ اخْتِكَارٌ
 أَخْصَبَ الْحُسْنُ فِي جَمِيعِكَ إِلَّا
 هُفَ نَفْسِي عَلَيْكَ لَوْ أَنْصَفَ الْحُمُ
 لَا أَسْمِيكَ خَيْفَةً بَلْ أَعْدِي
 وَعَدَدَتِ الْهُوَى عَلَيَّ ذُنُوبًا
 أَيْمُرُ الزَّمَانَ صَفْحًا عَلَيْنَا
 ظَلَمْتَنِي كظلمِكَ السُّنُّ حَتَّى
 سَلَبْتَنِي ثُوبَ الشَّبَابِ الثَّلَاثُو
 وَأَحَالَتْ دُهُمًا عَلَى الرَّأْسِ شُبُهًا
 إِنْ يَكُنْ سَارَ عَامِدًا لِلدَّمِثِقِ
 فَهُوَ لِلْقَلْبِ حَيْثُ مَا مَالِ ذِكْرُ
 حُسْنِ رَأْيِي الْوَزِيرِ عَوَّضَ فِيهِ

سِمْ لِمَا قَدَرَأَى وَلَا لِي قَلْبُ
 كاذِبَاتٌ يَلْدُهَا مَنْ يَصْبُ
 هُوَ هَمٌّ عَلَى الْفُؤَادِ وَكَرْبُ
 مَا عَلَى مَنْ أَحَبَّ مِثْلَكَ عَتْبُ
 وَفَمُ طَيْبُ الْمُجَاجَةِ عَذْبُ
 كِهْلَالٍ تَكَشَّفَتْ عَنْهُ حُجُبِ
 وَحَدِيثُ الْمُؤَنَسِ اللَّفْظِ رَطْبُ
 يَتَشَّى تَشَّى الْغَضَنِ شَطْبُ
 أَنْ حَظِّي مِنْ كُلِّ ذَلِكَ جَدْبُ
 سَبَ لَذَلَّ الْغَدَاةَ لِي مِنْكَ صَعْبُ
 عَنْكَ طَرْفًا دُمُوعُهُ فِيكَ سَكْبُ
 إِنْ يَكُنْ ذَا فَحُسْنُ وَجْهِكَ ذَنْبُ
 لَمْ يَنْلِ طَائِلٌ وَلَمْ يُقْبَضْ نَحْبُ
 شَابَ رَأْيِي وَدَعْوَةُ الشَّيْبِ مَبُ
 نَ وَالشَّيْبُ بَعْدَ ذَلِكَ سَلْبُ
 لَيْسَ يَجْرِي بِخَيْلِهِ اللَّهُو شُهْبُ
 وَطَوَائِي كَمَا طَوَى الشَّمْسَ غَرْبُ
 وَهُوَ لِلطَّرْفِ حَيْثُ مَا دَارَ نُصْبُ
 فَهُوَ لِلجُودِ وَالْمَكَارِمِ رَبُ

كوهي طويلة فجلس طويلًا، ثم أنشدني ما عمل ولم يقطعه بعد، فإذا هو:
 أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي بِكَ صَبٌّ لِقَوَادِي مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ وَجَبُّ
 حَارَ فِي الْجِسْمِ يَوْمٌ وَدَعَّتْ دَمْعٌ فَاضَ مِنْهُ مَعَ التَّسْتُرِ غَرْبُ
 يَا عَلِيًّا فَدَثُّهُ مِنِّي نَفْسٌ بَيْنَ أَيْدِي الْإِشْفَاقِ وَالشُّوقِ نَهْبُ
 سَلَبَ الْقَلْبَ وَالنَّسَى وَأَفْدُ السُّ سَنٌّ وَقَدْ كَانَ قَبْلَهُ لِي قَلْبُ
 إِنْ أَمِنَهُ فِي هَوَاكَ قَالَمُوتٌ دَائِي أَنْتَ فِي الْبُعْدِ لِلْوَاجِظِ نَضْبُ
 فَوْقَكَ الرَّدَى حُشَاةُ نَفْسٍ لَمْ يَجْرِهَا مِنْ التَّبَاعِدِ قَرْبُ

ثم قال لي: قد أغرت عليك، فقلت له: إن رأى سيدي أن ينعم علي ويقطع علمه لهذا الأبيات، ففعل. ثم قال لي بعد: عرفني بما أردت بقطعي الأبيات؟ قلت: إن أبياتي جهدت نفسي حتى جاء تشبيهها كما وصفه سيدنا، وترجل أبياتًا فينشدوها الناس معها فيرون أبياتي أجود، وما أحب أن يرى الناس لعبد شيئًا أفضل مما يملكه مولاه من أشباهه.

وحدثني الراضي قال لما قتل القاهر مؤنسًا وبليق وابن بليق أنفذ رءوسهم إلي مع الخدم يهدوني بذلك وأنا في حبسه؛ لأنني كنت في حجر مؤنس، ففطنت لما أراد وقلت ليست إلا مغالطته؛ فسجدت شكرًا لله، وأظهرت للخدم من السرور ما تحملهم على أن جعلوا التهديد بشاره، وجعلت أشكره وأدعو له فرجعوا بذلك وكتبت إليه:

بَقِيَّتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الدَّهْرِ بِرَغْمِ الْأَعَادِي نَافِذَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
 شَفِيَّتْ عَلِيًّا كَانَ لَوْلَاكَ قَاتِلًا وَخَفَّفَتْ هَمًّا ضَاقَ عَنْ خَلِيهِ صَدْرِي
 وَقُمْتَ بِحَقِّ اللَّهِ فِي قَتْلِ مَعْشَرٍ سَعَوْا فِي الْبِلَادِ بِالْفَسَادِ وَالْكَفْرِ

وَأَرِخِ سَادَ الْأَنَامِ وَلَمْ تَكُنْ
وَلَسْتَ بَلَيْتٍ أَفْلَتْهُ فَرِيئَةٌ
وَلَا حَيَّةٌ يَنْجُو بِنَفْسٍ لَدَيْهَا
فِعِشْتَ لِدِينِ اللَّهِ تَجْبُرُ وَهَنَهُ
وَيَا لَيْتَنِي أُسَعِدْتُ فِيكَ بِنَظَرَةٍ
لَتَغْفُلَ عَنْ نَارِ عِرَاكِ وَلَا دَثِيرٍ
وَقَدْ عَلِقَتْ بِالنَّابِ مِنْهُ وَبِالظَّفْرِ
وَلَا صَارِمٍ يَهْوِي لِضَرْبٍ وَلَا يَنْزِي
وَبُلُغْتَ أَقْصَى مَا هَوَيْتَ مِنَ الْعُمُرِ
أَوْفَى بِهَا حَقَّ الْمُحَامِدِ وَالشُّكْرِ

فلما قرأها دعاني فقال ما شفيتك، فأظهرت السرور وأكثرت الدعاء فنفعني والله ذلك عنده، وحال عما أراده بي إلى غيره.

وكان الراضي وعدني وهو أمير أن يشرب ليلة، وأنا أحتال في المصير إليه سرًا، فصرت إلى داره بالمخرم ليلاً فلم أصل، واشتغل بزائر زاره فلم يشرب، وكتب إلي من الغد:

وَلَيْلَةٌ مِنْ سَيِّئَاتِ الدَّهْرِ
تَوَقَّدَ النَّارِ بِذَاكِي الْجَمْرِ
مُغْرَى بِنَسِيَانِي وَطُؤْلِ هَجْرِي
وَقُدْرَةِ يَجْهَلٍ فِيهَا قَدْرِي
أَفْدَبَهُ مَنْ وَافٍ وَمِنْ ذِي عَدْرِ
فَاغْزِرْ فَهَذَا خَبْرِي وَأَمْرِي
يَوْضَلِ بَدْرٍ فَاضِحٍ لِلْبَدْرِ
يَا طَالِبًا قَنِي لَغَيْرِ وَتَرِ
تَوَقَّدَ الشُّوقُ بِهَا فِي صَدْرِي
أَنْسَيْتُ مَا أَشْرَبَهُ لِذِكْرِي
ذَا سَطَوَةٌ وَنَخْوَةٌ وَكَمْرٌ
ثُمَّ أَتَى مُزُورَةً بِالْعُدْرِ
يَبْخَلُ عَنِّي بِقَلْبِي لِنَزْرِ
مَتَى أَرَى سِرِّي يَجْثُ جَهْرِي
يُسْكَرُنِي بِاللَّحْظِ قَبْلَ سُكْرِي
يَهْنِكُ هَجْرٌ مِنْكَ يُفْنِي عُمْرِي

ولما هزم بجكم لابن رائق وخرج إلى الشام، وصار أميرًا مكانه دعاني

الرازي فأنشدني:

أَبْعَدَ مَا قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ
وَفَلَقْتُ حَيْلِي هَامَ الرَّجَالِ أُرَى
صَمِئْتُ عَنْ صَبَوَاتِ يَنْتَجِبُ لَهَا
وَقَلَّ لَذَاتِ لَهْوِي جَيْشُ عَارِفِي
حَتَّى رَحَضْتُ بِتَحْرِيزِي الْعَدُوَّ عَلَى
كَذَاكَ مَنْ تُنْهَضُ السَّادَاتُ هَمَّتُهُ
وَرُبَّ حَظْبٍ دَجَا ذَلَّ الْجَبَانَ لَهُ
لَمْ يَخْتَنِكَ لَيْلُهُ حَتَّى صَدَعَتْ لَهُ
فَقُلْ مَنْ يُلْهَبُ الْإِهْمَالَ غُرْبَهُ
وَلَا يُمِرَّنْ حَسْبًا لِلْخِلَافِ فَقَدْ
لَا تَبْسُطَنَّ رِمَاحًا لَا زِجَاجَ لَهَا
فَإِنَّهَا حِينَ تُذْنِبُهَا لِلْحَمَةِ
وَعِشْ بِنَيْبَةِ صِدْقٍ تَسْتَلِدُّ بِهَا
أَوْ فَاسِحِينَ دُيُوَلَّ الدُّلَّ مَقْتَسِرًا
لَا يُخْرِمُ الْمَرْءُ فِي وَرْدٍ يُجَاوِلُهُ

مُحَارِبًا لِحُطُوبِ حُكْمُهَا جَارِي
وَالْغَيْبُ يُجْمَدُ مَا أَذْكَبْتُ مِنْ نَارِ
نَاسٍ بِأَوْتَارِ لَهْوٍ نَازَ أَوْتَارِ
وَقَلَّمَ الْعَزْمُ مِنِّي نَقَرَ أَوْتَارِي
قَتَلَ الْعَدُوَّ يَابَ الدُّلَّ وَالْعَارِ
لَا يُغْمِضُ الْعَيْنَ مَغْلُوبًا عَلَى نَارِ
وَقَدْ فَرَاهُ بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارِ
صُبْحًا مِنَ الرَّأْيِ لَا يَغْشِي بِهِ السَّارِي
اسْتَعْنِ عَنِ صِدْقِ إِيقَاعِ بِأَنْذَارِ
رَأَيْتَ نَقْضِي وَإِحْكَامِي لِإِمْرَارِي
إِلَى سُيُوفِ مُطِيخَاتِ بِأَعْمَارِ
تَرِي بِكُلِّ رَقِيقِ الْحَدِّ بَتَّارِ
رَسَلَ الْحَيَاةِ بَعُزْفَ لَا بِإِنْكَارِ
وَأَنْظُرُ بِطَرْفِ حَفِيِّ اللَّحْظِ عَدَّارِ
حَتَّى يُوجَّهَ فِيهِ وَجْهَ إِضْدَارِ

ثم قال لي كيف تراه؟ فحلفت أنه ما قال في جودته خليفة قط؛ ولكن فيه

شيء يغيره، قال: وما هو؟ قلت قولك:

قتل العدو

حتى رحضت بتحريضي العدو على

اجعله بتحريضي الولي على قتل العدو، فقال: صدقت والله، خرج الكلام على ما في نفسي فغيره! فقال: إنما عنيت ذهاب الساجية والحجرية بابن رائق، قلت: أخاف أن يتأول أنه لبجكم وابن رائق لأنك عملته بعقب أمرهما، قال صدقت وكنت عملت أبياتاً على قافية الشين:

عَشِيَّتِي مِنْ اهُمُومٍ عَوَاشٍ	لِعَسْذُولٍ يُلْسُومُ فِيكَ وَوَاشٍ
لَوْ يُلَاقُوا الَّذِي لَقِيْتُ مِنَ الْوَجْهِ	سَدِ لِسُوقِ بَنِي الْجَوَانِحِ نَاشٍ
نَمَّ بِالسُّرِّ عِنْدَهُمْ دَمْعُ عَيْنِي	إِنَّ مِرَّ الْمَجِيبِ بِالذَّمْعِ فَأَشِي
مَنْ عَدِيْرِي لظَالِمٍ أَنَا مِنْهُ	فِي زَمَانِ الْوَصَالِ لِلْهَجْرِ خَاشِي
أَحَدَ الْقَدَمِ مَنْ قَضِيْبٍ رَطِيْبٍ	وَحَكَى أَعْيُنَ الطَّبَّاءِ الْعِطَاشِ

فأنشدتها الراضي في إمارته، فعمل في قافيتها ومعناها:

نَحْوُ الْجَيْسِمِ مِنْ وَاشٍ	وَدَمْعِي لِلهُوَى فَأَشِي
لَأَنِّي فِي زَمَانِ الْوَصَالِ	لِي مِنْ هَجْرِكَ لِي بِخَاشِي
لِإِصْفَارِكَ لِلشُّكْوَى	وَإِضْفَاءِكَ لِلوَاشِ
فَأَوْحَشْتُ بِإِذْنِ الطَّبَّاءِ	وَأَنْتِ بِي بِإِيْمَانِ
عَرَانِي سَقَمٌ نَاشٍ	بِهَجْرِي مِنْكُمْ نَاشِي

وعملت أيضاً:

حُبِّ لِأَخْتِكَ قَدْ قَسْنَا	بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا
بِهَتِّ زُرِّي حَرَكَاتِهِ	مِنْ قَضِيْبٍ إِذَا مَشَا
خَدَّاهُ مِنْ بَرْدِ الدُّجَا	وَالْمُقَاتِلَانِ مِنَ الرُّشَا

لَمَّا ظَفِرْتُ بِوَضِّهِ وَمَلَكْتُ مِنْهُ مَا أَشَا
 أَخْلَى الْبَرِّيَّةَ أَوْ عَلَى عَيْنِ السَّيِّئِ يَنْوِي غَشَا
 وَتَنَاوَمْتُ عَيْنِ الرَّقِيبِ بِحَيْثُ أَقْدَحِ الْوَشَا
 وَقَشَا الْحَسِيدُ بِحُبِّنَا وَالْحَسِبُ يُخْمَسُنُ إِنْ قَشَا
 عَبَّكَ الْوَشَاةُ بِوَضِّ لَنَا حَسَدًا فَكَيْفَ تَنْجَحُ مَنْ وَشَا

فعمل هو:

أَفْرَحَ الْقَلْبَ وَالْحَشَا مُفْتِنٌ لِحُظَّةِ رَشَا
 مَلَكَ الْجِسْمَ حُبُّهُ فَبِرَاهُ كَمَا يَشَا
 لَا يُجَازِي عَالِي الْوَصَا لِوَلَا يُقْبَلُ الرِّشَا
 شَفْتُ أَنْ يَرْحَمَ الْمُجْرِمَ بَوَهْبَاتِ مَا أَشَا
 يَا هَلْأَلَا إِذَا بَدَا وَقَضِيًّا إِذَا مَشَى
 أَفْسِرِ وَضَلًا فَإِنْ هَجَرَ سِرَكَ لَأَكَانَ قَدْ فَشَا

وكان الراضي بالله وصلنا وهو في الزبيدية، وأقام بها أياما وعملت له فيه قرية كما يعمل للملوك، أنفق عليها مالا، ثم فرقها علينا ووهب لنا ثيابا. فلما عبر بلغه أن الناس تكلموا في إعطائه لنا وإسراعه في أمرنا فقال:

لَا تَعْنِي لِي كَرَمِي عَلَى الْإِسْرَافِ رِيحُ الْمَحَامِدِ مَتَجَرُّ الْأَشْرَافِ
 أَجْرِي كَأَبَائِي الْخَلَائِفِ سَابِقًا وَأَشْبُدُّ مَا قَدْ أَسَسَتْ أَسْلَافِي
 إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَكْفُهُمْ مُعْتَادَةُ الْإِخْلَافِ وَالْإِنْسَافِ

ولما ملك بجزءكم واسط في آخر خروجه إليها وفعل بابن رايق ما فعل

وقتل، أنشدني الرازي:

وَلَيْتَ هَذَا الزَّمَانَ	يَا عُمْدَةَ السُّلْطَانِ
بِأَوْفَرِ الْأَنْسَانِ	وَمُسْتَرِي الْحَمْدِ مِنِّي
كَفَّ طَارِقِ الْحَدَثَانِ	فَكَكَّتْ أُسْرِي مِنِّي
وَقَدْ مَلَكْتُ عِنَابِي	فَصِرْتُ أَنْسَبُ جَزَائِي
وَسَلَّمْتُ مِنَ الْآبِي	فَأَنْتَ حَرْبُ عَدُوِّي
إِذَا تَعَايَا لِسَانِي	وَالسَّيْفُ مِنْ لِسَانِي
فِي غَيْبِي وَعَيْبَانِي	تَسُرُّنِي كُؤُوتِي
رَغَزْتُكَ شَانِي	فَشُكْرُكَ الدَّهْرُ لَا شُكْرُ

ومن كرم الرازي وشريف أخلاقه أن ابن حمدون كان يباري علي بن هارون المنجم في الشرب بين يديه، وإذا شرب أحدهما خماسية قبل صاحبه رفعها ليراها الرازي، ففعل ذلك مرارًا كثيرًا إلى أن ضجر الرازي فقال: كأنها قوارير بول ترفع بين يدي طيب، وهو مع ذلك ل حلمه وكرمه يضحك لما يفعلانه ويثيب عليه إلى أن فعلا ذلك يومًا فقال لهما وقد تلاحيا: لا عليكم الأمر عندي سواء في فعل جميعكم من زاد في شربه فإننا فعل ذلك سرورًا بنا ونشاطًا لمجلسنا، وإنما بقي على نفسه لخدمتنا، وأحب به مطاولتنا فقبلنا الأرض بين يديه، وحلفنا أنه ما جلس مجلسًا أكرم عشرة منه لعبيده، وأقبلنا عليها فقلنا: أبقى لكما الآن شيء بعد هذا فقصرنا عن كثير فعلها ذلك مما تركاه في وقت.

ومن كرمه أنه كان كلما أراد الشرب وضعت بين أيدينا صوان فيها خماسيات مطبوخ ومغاسل وكيزان ماء ليشرب كل واحد منا ما يريد، ولم يكن

يفعل ذلك الخلفاء إلا خصوصًا بالواحد بعد الواحد، وبالجماعة في وقت من الدهر. وإن كان الخدم الشرايية يجيئون بالأقداح فيناولونها الجلساء فيشربونها ويردونها عليهم، وربما أرادوا من الخدم ماء لأقداحهم فيما كسونهم فيه، وكان يأمر بأن يوضع بين أيدينا الفواكه الرطبة واليابسة فننال منها كما ننال في بيوتنا، وما كانت الخلفاء تفعل بجلساتها ذلك إلا في الحين إن فعلوه.

وكان كثيرًا يقول لكرمه ووفائه ومحبته أن يؤكل طعامه: أمر النيذ إليكم اشربوا ما شئتم، وأمر الأكل إلي لا بد من مطالبكم به حتى تأكلوا معي، ويمدح من يزيد أكله بين يديه وينفعه ذلك عنده.

ولقد تعشنا ليلة بين يديه فجاءونا بخبز سميد كبار ما رأينا أحسن مما خبز، فعزل العروضي رغيًا وقال: نوبتي في غد في بيتي، وقد استحسننت هذا الرغيف وأريد أكله في غد فاستبنت أنه قد سر لما فعل العروضي.

وجاءت جامات فيها بوارد فعزلت جامًا وقلت: ما ذقت والله أطيب من هذه الباردة وأنا كالشبعان، وأريد أن أكلها في غد مع العروضي فإننا شريكان، وفرغنا من الأكل وجلسنا ورفع الرغيف والجام، ثم وضع بين العروضي الرغيف بعينه وفوقه دراهم قد ملأته ووضع بين يديه جام فيه دراهم مثل ما في الرغيف فضج الجلساء لذلك وسألوا أن يفعل بهم مثل ذلك، فقال: إلا أن هذين استطابا طعامنا فأزلا منه لغد ما يقصر عن كفايتهما فأحبينا أن نتمم أمرهما بما فعلناه ولم يكن لكم سبب في مثل هذا فنفعل بكم كما فعلناه بهما. فانصرفنا ولم يأخذ أحد شيئًا غيرنا وأعطينا الرغيف والجام كما رفعنا، فكان في الجام ألفا درهم وكذلك على الرغيف.

ولما ورد قتل ياقوت على الحجرية اضطربوا اضطرابًا شديدًا واجتمعوا إلى

الرازي بالله وقالوا: قبضت على ابنه أبي بكر لغير ذنب فحبسته، ثم قبضت على أخيه أبي الفتح ثم كتبت إلى ابن البريدي في قتله، فجلس لهم وأحضر القاضي، وأحضر معه من العدول أبا الحسن الهاشمي بن أم شيان، وابن عمه عبد الوهاب، وجلس الرازي لهم ليلاً. فدخلوا إليه وهو على كرسي، فلغطوا وكان الصغار أشد كلاًماً وأبسط ألسناً من كبارهم وقوادهم، فتركهم حتى تكلموا بكل ما أرادوه وأخرجوا ما في أنفسهم، ثم أقبل عليهم رابط الجأش ذرب اللسان فكلمهم أحسن كلام، وقال: إن كان هذا الأمر قد صح عندكم. فعرفوني من أي جهة صح لأعرفها كمعرفتكم؟ وإن كان ظناً فالظن يخطئ ويصيب، وإنما ظننتم هذا بمجيء أخي البريدي أبي الحسن إلى الديار هذه الأيام، وإنما كان يجيء بكتب أخيه يشكو معاملة ياقوت، ثم أخرج فصولاً من كتب، فدفعها إلى القاضي فقرأها عليهم، وفيها جوابات من ياقوت إلى ابن البريدي، وقد أنفذها ابن البريدي إليه، ثم قال له: ما قبلت في ابن البريدي إلا رأي محمد بن ياقوت، والآن فقد وقفت على الخبر، وأنا أعزهم وأنفذ الجيوش إليهم، وأخرج معكم إن أردتم، ثم كلمهم القاضي وفرقهم.

وكنت وهو أمير بعد اعتلتت في يوم نوبتي عنده، فكتبت رقعة اعتذر فيها بالعلة لتخلفي عن خدمته فوقع إلى:

وَصَلَّتْ رُقْعَةً فَأَوْصَلَتْ الْوَحْدَ
بُدِّلَ الْقُرْبُ بِالْبِعَادِ قَبْدُلُ
شَمَّةٌ لِمَا آتَتْ بِشَكْوَى الْأَنْبِيسِ
بِتُّ بِبَسْمِ السُّرُورِ عُبُوسِ

فكتبت الجواب:

وَصَلَّتْ رُقْعَةً الْأَمِيرِ الرَّئِيسِ
فَأَزَالَتْ مَا كُنْتُ أَشْكُو وَأَهْدَتْ
عُرَّةَ الدَّهْرِ وَالْحَطِيرِ النَّفِيسِ
لِي نَعِيمًا وَأَذْهَبَتْ كُلَّ بُوسِ

وَأَنسَى السُّعْمُ مُزْنًا وَشِفَاءَ
حَسَنَ اللَّفْظِ مُطْرَبًا كُلَّ مَنْ يَسُدُّ
قَدْ جَلَاءَ الطَّبَعُ الْمَفَاكُ بِحِذْقِ
أَضْحَكَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ زَمَانِي
صِرْتُ مُذْ قَدَّرَ إِلَهِهُ جُلُوسِي
ضَاقَ سُكْرُ الْعُبَيْدِ عَن بَرِّ مَوْلَى
وَأَنسَى السُّعْمُ مُزْنًا وَشِفَاءَ
حَسَنَ اللَّفْظِ مُطْرَبًا كُلَّ مَنْ يَسُدُّ
قَدْ جَلَاءَ الطَّبَعُ الْمَفَاكُ بِحِذْقِ
أَضْحَكَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ زَمَانِي
صِرْتُ مُذْ قَدَّرَ إِلَهِهُ جُلُوسِي
ضَاقَ سُكْرُ الْعُبَيْدِ عَن بَرِّ مَوْلَى

وكنا يوماً نشرب بين يديه، فرأيت من ذكائه وسرعة خاطره ما جعلت أعجب منه؛ وذلك أنه سأل عن شعر فقال أحمد بن يحيى: هو لدعبل: فقلت أنا: هو لمحمد بن الحجاج البغدادي فلاحاني، فقلت له: إن أقرب من أنشدناه لمحمد أبوك عن أبي هفان، وكان ذكره في كتبه فأمسك وضحك الراضي، وقال فأنشدنيه، فأنشدته وهو مقبل علي يسمع:

زَمَنِي بِمَا طَابَ سُقِيَّتْ زَمَانَا
أَضَلَّخْتَنِي بِالْجُودِ بَلْ أَفْسَدْتَنِي
مَنْ جَاءَ قَبْلَكَ كَانَ جُودَكَ فَوْقَهُ
مَا كُنْتُ إِلَّا رَوْضَةً وَجِنَانَا
وَتَرَكْتَنِي أَتَسَخَّطُ الْإِحْسَانَا
لَمْ أَرْضْ قَبْلَكَ كَأَيْتْنَا مَنْ كَانَا

وليس الشعر هكذا، إنما قال:

من جاء بعدك كان جودك فوقه لم أرض بعدك كائنا من كانا

فلم استحسب أن أنشده بعدك في أول البيت وبعدك في آخره فأنشدته كما ذكرت، فقال: محمد بن يحيى الصولي يحيل الشعر إذا أنشده، ما كذا قيل، فقال له كيف الشعر فأنشده:

من جاد بعدك كان جودك فوقه لم أرض بعدك كأننا من كانا

فقطن أني قلبت اللفظ عمدًا لما فيه، وأن هذا مما لم يفتن له أحد فقال له:
تلك رواية الصولي، وهذه روايتك أنت، فقال: كذا والله يا سيدي قال الشاعر،
وكذا أنشدني أبي، فقال له: قد علمت كما أنشدك أبوك أيضًا لنفسه إن كنتم
قريبًا فمه! فسكت وانقطع الكلام.

وكان إذا ذكر أبيات يحيى بن علي هذه يشتد غيظه ويقول أقوالًا يسمعها
سائر الجلساء، لا أحب ذكرها، ويسرني منه بأن يقول قد شفى القلوب ابن
المعتز بجوابه.

وأنشدني يومًا العروضي جوابًا ليحيى في غير شعر عمله، أحسن والله في
بعضه، ولكني لا أذكره للطعن الذي فيه.

واعتللت وهو أمير فتأخرت عن خدمته، والنوبة التي كانت علي فكتب
إلي رقعة فيها:

عَاةٌ إِذْ غَابَ سُـهُورًا	يَا عَلِيًّا جَعَلَ السَّـ
لَذَهْرًا إِذْ جَاءَ قَـصِيرًا	وَلَقَدْ كَبَّرَ بِهِ السَّـ
لَذَهْرًا لَهْ فِيهَا نَظِيرًا	لِعُلْبُومٍ لَا أَرَى السَّـ
عَنَّا وَلَقَّاكَ سُـرُورًا	صَرَفُ اللَّهِ الْأَذَى

فكتبت الجواب:

مَثَلَهُ فَضْلًا أَمِيرًا	يَا أَمِيرًا مَا رَأَيْتَنَا
سَاوِيًا بِذَرًا مُنِيرًا	يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا شَمُّ
آدَابٍ مُذْ كَانَ صَغِيرًا	يَا كَيْسِرَ الْعَقْلِ وَالسَّـ

والذي نكذب إن قسنا به يوماً نظير
 قد أتى عندك شغراً منك خلاه خسيراً
 بعد سبقي من خطير الـ شغراً من كان خطيراً
 حسن اللفظ بحسبي رضى الله الثيرا
 ملاً الجسّم شفاءً وخشاً القلب سُروراً
 كان من عارض شكك وواي ومن دهمري تجيراً
 ليس ما يدخره عندي من الشكر يسيراً
 سوف أهدي منه روضاً جاورت منك غديراً
 كم عسير عاذلي من حنين نفاك يسيراً
 قد يرى العبد وإن قل بملأه كئيراً

سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

مات في المحرم منها إبراهيم بن خفيف، صاحب ديوان النفقات وتقلد موضعه محمد بن يحيى بن شيرزاد، وتقلد الزمام عليه سعيد بن عمرو بن سنكلان. وفي الشهر ظهر ابن خزابة بعد استتاره، وصور على مال كثير، وضج الناس من غلاء السعر، وكان الخبز قد صار إلى أربعة أرتال بدرهم، وأظهر قوم من بني هاشم المصاحف وشكوا الجوع.

ومات إبراهيم بن حماد لسبع خلون من صفر، ودفن إلى جانب قبر إسماعيل بن إسحاق.

واحتبس القطر فنأدى السلطان بخروج الناس للاستسقاء، فخرج أهل الجانيين في يوم الأحد لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول، وخرج الناس

الأئمة فصلوا بالناس ودعوا وانصرفوا.

ووافق كتاب قاضي أصبهان لأربع عشرة بقية من شهر ربيع الأول بقتل مرداويج، وكان السبب فيه أنه جعل عسكره صنفين صنف منهم جيل وديلم وهم خواصه وأهل بلده الذين فتح بهم الري ونواحيها، ومنهم صنف أترك وأهل خراسان، ثم استخص نفرًا من الأترك فوجد الديلم من ذلك وعاتبوه عليه، فقال: إنما اتخذت الأترك لأفيكم بهم، وأقدمهم يجاربون بين أيديكم، وأنتم خاصتي وأنا بكم ولكم، فبلغ ذلك الأترك فأجمع رأيهم على قتله، فأوصوا الغلمان الصغار الذين في خدمته، ووكدوا عليهم بالتركية أن يفتكوا به، فقتلوه في حمام، وجاءهم الذي واطوهم على ذلك وأخرجوهم من الدار، وركبوا دوابه وساروا، فاضطربوا فقالوا نجعل علينا رئيسًا فرضوا بيجكم وأخذوا من داره مالا عظيمًا وأتية فضة وذهب، وكان قد تكبر وتجر ووضعت التاج على رأسه مكللاً بأحسن الحب والياقوت، وجلس على سرير فضة حواله ذهب، وكان مرصعًا بجواهر، وقال: أنا أرد دولة العجم بأبطل دولة العرب، وصار بيجكم والغلمان الذين معه إلى ابن رايق فقبله أحسن قبول، وغمره بالإحسان، وخلع علي غلام الراشدي بجمص وأعمالها.

وقبض السلطان على ابن شنبوذ لما رفع عليه من قراءته بما لا يجوز، وشهد عليه بشهادات فأحضر دار ابن مقلة وحضر ابن مجاهد وجماعة من القضاة والفقهاء فنوظر، فتاب ورجع عن رأيه فكتبت رقعة نسختها:

«يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ إني كنت أقرأ حروفًا تخالف ما في المصحف المنسوب إلى عثمان رحمه الله، الذي اتفق عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى تلاوته، ثم بان لي أن ذلك خطأ فأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله منه برئ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه».

وكتب بخطه في أسفل هذه الرقعة:

«يقول محمد بن أحمد بن أيوب ما في هذه الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي، أشهد الله على ذلك ومن حضر، وقد كتبت هذا بخطي، فمتى خالفت ذلك أو بان مني غيره، فأمر المؤمنين أطال الله بقاءه في حل وتبرئة من دمي».

وكتب يوم الأحد لسبع خلون من شهر ربيع الآخر في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وذلك كله في مجلس الوزير أبي علي.

وذا الأئمة في يوم الجمعة بالجانب الشرقي والغربي بعد دعائهم للراضي لابن ياقوت وقرظوه، فبلغ ذلك الراضي فأنكره وأمر بأن يقلد مكان أبي عمر حمزة بن القاسم من ولد العباس بن محمد على الصلاة بجامع الجانب الغربي أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن جعفر بن المنصور ويعرف بابن بريه، وأن يقلد مكان أبي الحسن أحمد بن الفضل بن عبد الملك من ولد العباس بن محمد أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز على الصلاة بجامع الشرقي، وأن يقلد أخوه الصلاة بجامع السلطان.

وشغب المؤنسية في طلب الأرفاق وقطعت الجسور وأرجفت النلس بابن ياقوت أنه قتل فركب في الجانيين وأزال الإرجاف بركوبه وسكن الناس.

وتوفي أحمد بن عبد العزيز الجوهري صاحب عمر بن شبة بالبصرة لخمس بقين من شهر ربيع الآخر.

وقبض على محمد بن ياقوت يوم الاثنين لست خلون من جمادى الأولى، وعلى كاتبه أبي إسحاق القراريطي، وعلى نجاح كاتبه على الجيش فقبض من ابن ياقوت على رجل كامل في عقل وعلم وشجاعة وصيانة وعفاف.

واجتمع الحجرية والساجية فقالوا: لا نرضى بأن يكون بدر الخرشني واليًا

شرطة بغداد فسفر بينهم وبين بدر، ورفق بهم حتى رضوا به، بلغ السلطان أن أبا الفتح بن ياقوت يضرب الحجرية والساجية على الرازي، ليفتكوا به وتوقع البيعة لبعض إخوته فقبض عليه وهو بين يديه يخاطبه ووكل بدوره فلم تنهب وحمل ما فيها ليلاً إلى دار السلطان.

وخلع الرازي على غلامه ذكي للحجبة يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الأولى، وغضب صغار الحجرية لابن ياقوت، وقالوا: يناظر بحضرتنا فإن وجب عليه شيء وإلا أطلق فداروهم حتى سكتوا وأمر بقبض ضياع ابني ياقوت، وحمل القراريطي على دار الوزير وأخذ خطه بهال قيل إنه ثلاثة ألف درهم أو أقل.

ومات ابن المبتع الشيعي، وكان يروي عن عمر بن شبة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى. وفي جمادى الأولى خلع على أبي الحسين علي بن محمد لخلافة أبيه، وزاد أمر الحنبلية في هذا الوقت ونهبوا دكاكين بباب الشام؛ لأن البرهاري مضى بعود أمر عبد الله بن أحمد بن حنبل وعائوا في مربعة شبيب فأنكر السلطان ذلك وأمر بطلب الدلاء وابن رمضان فلم يوجد.

وكان النوروز لثمان خلون من رجب، ووجه الرازي إلى أخيه العباس وأحضره الدار مع طائفة منهم أبو القاسم كاتب نازوك، ثم أخرج العباس بين الظهر والعصر، وحضر الوزير والقاضي عمر بن محمد وحضرنا، فكتب القاضي كتاباً بيده ولم يكتبه الوزير. وقال للقاضي: في هذا شروط أنت بها أحذق وعليها أقوم. فكتب كتاباً حسناً عن حلف العباس ومن معه، أنه ما نكث ولا خرج عن طاعة.

وفي آخر جمادى ولي أبو العلاء سعيد بن حمدان أعمال ابن أخيه الحسن بن عبد الله فنفذ في خوف من الجيش فأنزله داراً له لما صار إلى الموصل وأطمعه في

التسليم إليه، ثم قبض عليه وقتله غلمان الحسن وعظم ذلك على الوزير، وأصلح آلة للخروج، وحلف أنه لا بد له من أن يوقع به أو يصير إلى الحضرة، ويؤدي عشرة ألف ألف درهم.

وقبض على علي بن عيسى يوم الأربعاء لأربع بقين من رجب، جاء راغب الخادم فحملة إلى دار السلطان، ثم صاعد به إلى دار الوزير، وأخذ خطه بخمسين ألف دينار.

وكان الأصل في هذا أن الرازي زعم أن ابن حمدان الحسن وجّه إليه بخمسة آلاف دينار على يد ابن طليب الهاشمي، ليوصلها إلى الرازي، فلم يفعل ذلك، فكان الرازي بعد نكبة علي بن عيسى يحلف أن علياً اختان الخمسة الألف، فكنت أقول له لو تأمل سيدنا هذا من أين وقع وأن علياً لا يمد عينه إلى خمسة آلاف دينار، وهو أبعد الناس عن هذا، وكنت أحدثه عنه بما أقدر إزالة ما وقع بقلبه، فلا يقبل إلى أن ضرتني ذلك عنده، وسعى بي قوم من الجلساء إلى الوزير فأنحرف عني بعد ميل، وحرمني بعد إعطاء.

وكثر ضجيج بني هاشم في شكوى الضر، وسودوا وجوههم، ومنعوا الإمام يوم الجمعة بالجانب الغربي من الصلاة، فصلى بعد جهد مخففاً للخطبة.

وتوفي في آخر رجب أبو عبيدة القاسم بن إسماعيل المحاملي المحدث ودُفن بمقابر الدير، ووجه الوزير إلى منازل أبي الفرج بن حفص وولده فكبسهم فيها، وطلبهم فلم يوجدوا، فهذم دورهم وجرم نخيلهم، ونقل ما وجد لهم من الأثاث، وكان ذلك لرقعة زعموا وجدت فيها ابن حفص للوزير وجماعة معه ببال خطير.

وخرج الوزير مصاعداً إلى الحسن بن عبد الله لخمس خلون من شعبان، ومعه خلق من الحجيرية والقواد، واستخلف على الحضرة ابنه أبا الحسين،

وأطلق علي بن عيسى إلى منزله بعد أدائه المال، وانحدر إلى ضيعته بالصافية لأيام خلت من شعبان، وانتقل والده إلى الصافية جمال بغداد، ومن لا يرى الناس مثله. ومات نسيم البشراي الخادم للنصف من شعبان، فأمر الرازي أن يرد ما كان إليه إلى كاتبه أبي عمرو فأبى أن يقبل ذلك إلا برئيس من الخدم يكون الاسم له، وجشم الشراب ومن يخدم فيه مضمومون إليه، وهو يكفي الخدمة فجعل الرازي ذلك إلى زيرك الخادم القاهري.

وفي هذا الشهر خرج مفلح الأسود إلى بيت المقدس أشير عليه بذلك لكراهة الرازي مقامه بالحضرة، ولعهدي به وقد دخل ليودعه وهو يبكي ويضطرب، ويقبل الأرض، ويشكو أن فراقه لمولاه كفراقه لحياته، والرازي يقول هذا وجه كنت تحبه، وحيث ما كنت فأنت لي وقريب مني وعنايتي تلحقك، ثم خرج على كره منه.

وورد الخبر بدخول الوزير إلى الموصل أول يوم من شهر رمضان على اختيار عمل له. ومات أبو عبد الله بن المهدي لليلتين خلتا من شهر رمضان، وكان قد حدث وكان فقيها مشهورا، له حلقة يجتمع إليه الناس.

وفي هذا الشهر قطعت يد رجل في ناحية بشرى المؤنسي وطيف به في الجانيين، ونودي عليه هذا جزاء من يسعى في الأرض فسادا؛ لأنه اتهم بأن جماعة من الحجرية كانوا يجتمعون في دار له بدرج النهر لبيعة يوقعونها، فقرر وضرب فقال: مقتول، فلم أوقع غيري فمني ووعد العفو فابتدأ يقر، فذكر جليلا من الحجرية، وأراد أن يذكر غيره، فأمر الرازي بترك سؤاله، وقال: ما حاجتي أن أفسد نيات قوم إذا عرفتهم لم أجد من ينصرفي عليهم ويعاونني لعلمهم بوقوفي على أمرهم، فقليل له لا يذكر أحدا وهذا من جيد رأي الرازي.

وكان قد حفظ عني أن المأمون لما قتل ابن عائشة وجد في منزله قماطر فيها

مكاتبات بعض الجندلة، فجلس وأحضرها وجمع الناس، وقال: أنا أعلم أن فيكم المستزيد والعاتب، وإن نظرت في هذه الكتب فسدت عليكم وفسدت علي، وقد وهبت مسيئكم لمحسنكم، وأمر فأحرقت القماطر وأسفرت وجوه القوم واستصيب رأيه.

ووقع بالكرخ حريق عظيم في شوال أحرق العطارين والصيدالة وأصحاب المدهون والخزازين والجوهرين، وكان عظيمًا، وقبل ذلك بقليل وقع حريق دونه في أصحاب الحناء والأشنان فأثاره باقية إلى وقتنا هذا، ما رد إلى حالته لما يتزايد في خراب البلد.

وانصرف الوزير من الموصل ولم يبلغ ما أراد فأقام بالبردان لثلاث بقين من شوال لينقضي كسوف الشمس، وكان لليلتين بقيتا من شوال، ثم دخل في أول ذي الحجة وخلف بالموصل علي بن خلف بن طياب على الخراج، ويانسا المؤنسي على الحرب.

ووافي في هذا الوقت جميع من كان مع محمد بن خلف زوج أخت ابن الخواري بالخييل مفلولين هزمهم الديلم، فيهم ابن عمرويه وابن الفارقي.

وولي لؤلؤ طريق مكة؛ وكان غلامًا للمتهشم فخرج بالناس فلقبهم القرامطة يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، بطيزناباد فقاتلهم أشد قتال، إلى أن خذله أصحابه وأصابته ضربات فطرح نفسه مع القتلى ثم دب ليلة الخميس إلى أن صار إلى الكوفة فاستتر.

وكان من انقضاض الكواكب في ليلة الأربعاء التي قطع على الحاج في صبيحتها، فلم يفلت منهم أحد ما لم يعهد مثله بالكوفة وطيزناباد موضع الواقعة وكان عندنا ببغداد من ذلك ما لم نر مثله ولا سمعنا به قط واستؤسر ابن حاتم، وكان قد تقدم في قافلة الخوارزمية فقتلوا كلهم، وصار إلى القرامطة ألفًا جمل

عليها أصناف البز والأمتعة وأفلت القراريطي من حبس الوزير وتحدث الناس أنه أطعم الموكلين طعامًا فيه بنج.

وأحضر الرازي جعفر بن المكتفي فحبسه لشيء بلغه عنه، ثم أخرجه إلينا مرات نسائله ونخاطبه، وأرسلت إلي والدته تسألني الكلام عنه فما بقيت غاية أنا والجلساء في ذلك حتى أطلقه؛ وذلك لما أوجب الله - عز وجل - عليّ من حق المكتفي، واصطناعه إياي وإحسانه إلي، وكثر الضجيج ببغداد لما نال الحاج، ووثب العامة بأصحاب المعاوز في الطرق والمساجد، ونال الرازي من ذلك أمرٌ عظيمٌ، وصام أيامًا، وكان يقول: لو كان لي مال كمال المكتفي حين فعل ذكرويه بالحاج ما فعل، فطلبه بالجيش والأموال حتى قتله، لما رضيت والله إلا أن أخرج بنفسي إلى البحرين، ولكن ما حيلتي في جند مستحئين، قد ملكوا الأمر دوني، وعوز مال، وانخرق هيبة، إلى الله أشتكي وبه أستنصر.

والحجرية والساجية يعيونه كل يوم حتى يجلس لهم مرات بالليل والنهار، لا يريد أحدهم فيحتجب عنه، ولصودر أبو يوسف كاتب أم جعفر المقتر بالله، على أحد وعشرين ألف دينار، وحمل الحسن بن هارون مالاً، وحمل جماعة منهم مصانعة عن أنفسهم، ووافى الحسن بن عبد الله من الموضع الذي كان صار إليه فولى نقيطاً المؤنسي نصيين وقلد الديلمي القائد الذي كان معه بلد، لأن من كان بالموصل لم يتجاوزها.

وأحضر في يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة القاضي عدر بن محمد ومعه أبو أيوب السمسار، فنظرا إلى ابن ياقوت ميتاً لا أثر فيه، وأنه مات حتف أنفه وصلى عليه أبو أيوب ودفن في مقبرة لهم في الشارع الأعظم فوق سوق السلاح. ومات أحمد بن محمد البستانبان المحدث وكان ينزل عند دار ابن الحواري، وولد سنة أربعين ومائتين وكان حافظاً للحديث في ذي الحجة.

وفي ذي الحجة طولب أبو الحسين علي بن محمد البريدي بهال فصولر على مائة ألف دينار عن جماعتهم نصفها معجل ونصفها مؤجل.

وأرجف الناس بأنه يسعى للخصيي بالوزارة، فطلب وكبست مواضع بسببه، وجرّد كاتبه ابن رمكة ليضرب من أجله، فحلف أنه لا يعرف مكانه.

سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

كان لبني هاشم وثوب في المحرم بإمام الجامع الغربي فخاتلهم حتى صلى ركعتين خفيفتين قرأ في الثانية الحمد وقل هو الله أحد وخطب بكلمات يسيرة، وصاروا من غد إلى الجامع الشرقي فوثبوا بالقاضي وما تركوه يخطب، فانصرف مفلتا من أيديهم، وأمر الوزير أن يفتح الخراج في هذا الشهر فضج الناس من ذلك.

ومات في هذا الشهر أبو منصور بن جبر النصراني، وما اصطفى بن يعقوب النصراني صاحب بيت مال الخاصة من قبل مؤنس الخادم، وورد تابوت ابن دولة الحسن بن علي بن محمد بن الفرات إلى بغداد من الشام، وذكرته عنه في ولايات تولاهها أمور قبيحة من الظلم.

وغرق القاضي ابن كاس فأخرج وبقي أيامًا ومات. وشغب العامة لغلاء السجر في مسجد الرصافة، ودخل الجند في طلبهم إلى الصحن فصعدوا إلى السطوح وغتوا الفرسان بالحجارة حتى هربوا وحارب الجند العامة يوم السبت بباب الطاق فأخذ السلطان جماعة فصرهم بالسياط وأدراهم، وأشار الوزير بأن يسعر المكوك من الدقيق بثلاثة دراهم فما نفع ذلك، ونادى بأن يتعامل الناس بالغليظ من الدراهم والمسوح طلبًا للرفق بهم. ووقع بين الحجرية والساجية في صفر خلاف فمشى بينهم قوم فاصطلحوا.

وقلد في هذا الشهر الحسن بن عبد الله من تكريت إلى آمد، وفورق على

مال واستقام أمره، وأزيل عنه من الموصل، ومات في يوم الخميس للنصف من ربيع الأول هارون بن المقتدر بالله أبو عبد الله، وكان كاملاً في عقله وأدبه وأظهر الراضي حزناً شديداً عليه، وقال لنا هذا على أنه كان يسعى على هذا الأمر ويكاتبه فيه جماعة منهم ابن ياقوت، وقال لي: كنت أعرف محلك منه أفرثيته بشيء؟ فقلت: نعم، إنما انتظرت الإستئذان في إنشاده فقال جثني به في غد وأنشدنيه مفرداً، ثم أمر بإدخاله إليه من غد وكنت بكرت قبل حضور أهل نوبتي فأدخلني فأنشدته:

تَعَزَّى بِأَخَيْرِ الْوَرَى عَنِ أَخِ	لَمْ يَسُبَّ إِلَّا خِلَاصَ بِاللَّبْسِ
كَانَ صَدِيقًا وَإِفْرًا وَدُهُ	صَدَاقَةَ الْأَنْفُسِ وَالْجِنْسِ
تَعَزَّى عَنْهُ بِبَنِي الْأُمْدَى	مَحْمَدٍ أَدْخَلَ فِي الرَّمْسِ
وَهُوَ حَيْبُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ	مَوْئِدًا بِالْوَحْيِ وَالْقُدْسِ
سَمَّاكَ بِالرَّاضِي لِتَرْضَى بِمَا	تُسَلِّفُ مِنْ أَمْرِ وَمَاتُنْسِي
قَدْ أَنْذَرَ الدَّهْرُ تَصَاريفَهُ	بِالْبِسِ نَاطِقَةَ خُرْسِ
يُخْبِرُنَا عَنْ مَوْتِهِ كَوْنُهُ	بِغَيْرِ إِذْكَارٍ وَلَا حَنْدَسِ
كَانَ تَسْبِيحًا لِإِمَامِ الْأُمْدَى	بِالْوُدِّ وَالْأَلْفَةِ وَالْأَنْسِ
وَنَسْبَةُ الْجِسْمِ شَتَاتٌ إِذَا	لَمْ تَتَأَلَّفْ نَسْبَةُ النَّفْسِ
وَكَانَ فَرَعًا ذَا كَيْبَا غُصْنُهُ	مُهْدَبًا مِنْ خَيْرِ مَا غَرَسِ
وَكَانَ فِي السُّودِ ذَا هِمَّةٍ	وَكَانَ فِي التَّعْمَةِ ذَا غَمَسِ
أَرْسَى عَلَيْهِ دَهْرُهُ مِنْ مِثْلِ مَا	أَرْسَى عَلَى سَاكِنَةِ الرَّسِّ
إِنْ صُرِفَ الدَّهْرُ إِلَى مَا مَضَى	عَادَ سُورُ النَّاسِ ذَا عَكْسِ

حَوَادِثُ الْأَيَّامِ شَفَاقَةٌ
 يُعْتَقَبُ الْمَرْءُ بِهَا خَالَهُ
 مَنْ عَزَّ بِالذَّنْبِ هَفَا قَلْبُهُ
 وَزَالَ فِي تَلْوِينِهَا عَقْلُهُ
 مَيَّةٌ إِنْ لَمْ تُفْجَحِ الْفَتَى
 لَهْفِي عَلَيَّهِ وَقَلِيلٌ لَهُ
 لَهْفِي عَلَى مُتَخَبِّ جِلْمُهُ
 وَابْنَ الْأَوْلَى كَانُوا شَمُوسَ الْوَرَى
 جَرَى عَلَى السُّودِ مِنْهُمْ كَمَا
 فَا فَرِسٌ لَهُ صَبْرًا يُزِيلُ الْأَذَى
 يَنْعَمُ مِنْهُ جِسْمُهُ تَارَةً
 قَلَّمَ تَزَلُّ قَوْقُ الْمُلُوكِ الْأَوْلَى
 مَنْ لَا يَسْرَى جُبَّكَ فَرَضًا قَمَا
 فَبَادُوكَ النَّاسُ جَمِيعًا عَلَى
 فَالْخُلُقِ وَارِدٍ مِنْ رِفِهِ إِلَى
 أَوْلَاهُمْ مَتَّظِرٌّ آخِرًا
 حَتَّى يَجِيئُوا وَكَيْفَاتُ هُمْ
 وَيَعْتَمِدُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَا كُلِّهِ
 تَخَشَّعُ أَصْوَافُهُمْ خَيْفَةً

تُقَرَّبُ الْمَأْتَمَ بِالْعُرْسِ
 يَوْطِنُهُ الْحَزْنَ إِلَى السَّوْعِسِ
 وَعَادَ مِنْهُ النُّورُ ذَا طَمَسِ
 وَعَالَهُ طَيْفٌ مِنَ اللَّقْسِ
 كَانَتْ لَهُ بِالسُّقْمِ ذَاتَ مَسِّنِ
 لَهْفِي وَهَلْ يَرْجِعُ لِي أَمْنِي
 أَرْجَحُ مِنْ رَضْوَى وَمِنْ قُدْسِ
 لِيُوثَ حَرْبٍ غَيْرَ مَا شَمْسِ
 سُيِّدُ بَيْنَانٍ عَلَى أَسِ
 فَالذَّهْرُ لِلْإِنْسَانِ ذُو قَرْسِ
 ثُمَّ تَرَاهُ جَائِي الْجَسِ
 مِنْ عَرَبٍ سَادُوا وَمَنْ قُبْسِ
 أَدَى قُرُوضِ اللَّهِ فِي الْخُمْسِ
 رَغْمٍ عَدُوٍّ لِيَزِي شَكْسِ
 مَوْتٍ وَذِي عَشْرِ وَذِي تَحْسِ
 فَهُوَ عَلَيْهِ الذَّهْرُ ذُو حَبْسِ
 وَلَا يُسْرَى لِلْقَوْمِ مِنْ جِسِّ
 لِجَائِلِ الْجَنَابَةِ وَالْإِنْسِ
 فَلَا تُنَاجِي بِسَوَى الْهَمْسِ

دَاعِيَ النَّبَا حَاطِبٌ كُفْوَةٌ كَخَطْبَةِ الْمُعْتَامِ لِلْعُرْسِ
يَسْمُو إِلَى الْأَنْفَسِ فِي قُدْرَةٍ مُنْكَبًا عَنِ سَاقِطِ جِلْسِ
تَلْعَبُ بِالْمَرْءِ اللَّيَالِي كَمَا قَدْ تَلْعَبُ الْأَقْلَامُ بِالنُّقْسِ
تُرْضِعُ بِالْإِنْعَامِ ذَا عَزَّةٍ يُقَطِّمُ بِالْبُؤْسِ وَيَبَالِغُ فِي
تَتْبَعُ نِعْمَاهَا بِبِئْسَانِهَا وَتَعْقِبُ الصَّحَّةَ بِالنُّكْسِ
فَالْحُرِّ فِيهَا أَبَدًا حَاوِزٌ مِنْ سَوْمِهَا الْغَالِي عَلَى مَكْسِ
يُنْعَبُ فِيهَا أَبَدًا جِسْمُهُ وَإِنَّمَا الرَّاحَةُ كَالْخَلْسِ
يَجْدَعُ فِيهَا بِالْمُنَى تَفْسَهُ وَوَافِدُ الْمَوْتِ بِهِ مُزْبِي
يَنْسَى الَّذِي يَأْتِي بِهِ صَرْفُهَا وَالْأَمِلُ الْفَرَارُ قَدْ يُنْسِي
تَلْبِسُهُ مِنْ طَمَعِ غَفْلَةٍ بِالمَطْعَمِ الْمَلْدُودِ وَاللَّبْسِ
فَأَسْلَمَ اللَّهُ إِمَامَ الْمُتَدَى فَمَا عَطَاءُ الْبَدْهِرِ بِالنَّخْسِ
كُلُّ الْوَرَى أَنْتَ وَكُلُّ يُرَى عَبْدَكَ مِنْ عَالٍ وَمِنْ نِكْسِ
بَقَاؤُكَ الْفَوْرُ لَنَا وَالْغَنَى نُضِيحُ فِيهِ مِثْلَ مَا نَمْسِي
شَعْوَى صُرُوفِ الدَّهْرِ مَا لَمْ تُصِبْ فِي الرُّطْبِ إِنْ عَائَتْ فِي الْبَيْسِ
مَنْ تَجَاوَزَ الدَّهْرَ بِلاَصْرِفِهِ فَصَارَ مِنْ رِيحٍ إِلَى وَكْسِ
فَأَسْلَمَ الْكُلَّ فَلَا بَأْسَ أَنْ يُرْرَ فِي السُّدُسِ فِي الْخُمْسِ
إِنْ غَيَّبَ الْبَدْرَ كُشُوفٌ فَقَدْ لَأَحْتِ بِسَعْدِ غُرَّةِ الشَّمْسِ
مَا طَالِغَ الْأُمَّةِ يَا سَيِّدِي إِذَا حَطَّكَ الْخَطْبُ بِالْبَحْسِ

فما فرغت من الإنشاد حتى بكاء شديداً، ثم قال لي أنت كنت حدثتني

أن المأمون قال لمحمد بن عباد المهلبى لما مات أخوه أبو عيسى، وكان أحب الناس إليه: يا محمد حال القدر دون الوطر. قلت له: قد كان ذلك، فقال: والله ما كان المأمون لأبي عيسى بأشد حُباً مني لهارون ولا أصح نية فيما ورى عنه.

ودفن هارون في داره بقرب الجسر، وحضره يومه الوزير والقواد، وكل تزع سيفه ومنطقه إلى أن دُفن بعد العصر وانصرفوا فقال بعد ذلك: لو لا أني لا أدرك ثأري لقتلت بختيشوع الطيب، سقى أخي هارون درهم سقمونيا حتى قتله ورمى بكل ما في جوفه! وإن كان المشثوم ما تعمد ذلك، ولكنه أعمى القلب، قصير العلم بليد الفكر، مرزوق في أيامه، محظوظ.

وأشاع الناس بأن ابن رايق يريد الصعود من واسط إلى بغداد ولحقه الناس من بغداد، فظن الساجية والحجرية أن ذلك بمكاتبة الرازي.

فتكلموا في ذلك فكتب إليه لا تجيء ووجه بها كرد وينال وعبد الله بن علي كاتب نسيم، يناشدونه في مقامه وقدموا من عنده يوم الخميس لست خلون من شهر ربيع الآخر.

ومات في هذا الوقت علي بن العباس النوبختي وقد قارب ثمانين سنة وكان حسن الأدب والشعر، وكان ابنه الحسين يكتب لابن رايق ويدبره أمره. وقدم شيخ هاشمي من سر من رأى يقال له إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى فحدث واجتمع إليه، وذكروا أنه ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان عنده علو إسناد مفقود في وقته، الموطأ عن مالك عن أبي مصعب الزبيري، وروى عن أبي سعد الأشج وعبد الجبار بن العلاء العطار. فتكلم الناس في سماعه والتهبت له سوق ثم طفئت ورجع إلى سر من رأى.

واستحق الساجية والحجرية، فطالب الوزير مياسير التجار بأموال يعجلونها، ويكتب لهم بها سفاتج فاستتروا. وضرب ابن جبير الدقاق، وأخذ

منه مالا، وأمر من كان ينزل بسور المدينة أن ينتقل لتباع المنازل.

ووجه الحسن بن عبد الله بمائة كر دقيقاً، يفرق بسر من رأى وبغداد على الأشراف والضعفى، ففرح به الناس، وحدثت زواريق كثيرة للتجار فصلح السعر.

وبلغ الحجرية والساجية أن بدرًا الخرشني والمؤنسية والرجالة قد عزموا بأمر السلطان، فتنكروا لهم فخرج بدر ومن معه إلى الصحراء يوم الثلاثاء، لثلاث خلون من جمادى الأولى، وقالوا: كيف صار الساجية والحجرية يأخذون المال وقت استحقاتهم ونحن نؤخر بقسم المال بيننا! وصار الحجرية والساجية إلى الحلبة وأقاموا بها، واستظهر السلطان بعض الاستظهار ببعض اليلبية^(١) والهارونية وغلما ن أم المقتدر. ثم إن الحجرية والساجية أخرجوهم عن الدار، وصار الخرشني إلى مسجد الجامع بالرصافة فضرب خيمة هناك وتبعه جعفر بن ورقاء ولؤلؤ وغيرهم.

وكان الرازي قد اختص جعفرًا وشاوره فحسن أثره في رأيه وفضله. وقال الساجية والحجرية للرازي: قد أشاع الناس أنا محاصروك فاخرج فصل الجمعة بالناس ليزول ذلك، فخرج فصلى بالناس في مسجد الدار، وما علم به الناس. وقال للحجرية وللساجية أنتم خاصتي وثقاتي، وسفر جعفر بن ورقاء بين الناس فأصلح الأمر.

ووعد الناس بأن الخليفة يصلي بهم في الجمعة الثانية فما تخلف أحد، وما كنت أنا علمت بصلاته أول جمعة فحضرت في الثانية ووجدت إسحاق بن المعتمد حاضرًا فدخلنا المقصورة وخرج الرازي فعلا المنبر، ووقعت عينه

(١) لعلها البليبية نسبة إلى أتباع ابن بليق.

علينا فخطب فأوجز ونزل وصلى بالناس فقرأ سورة الجمعة في أول ركعة وفي الثانية سبح اسم ربك الأعلى أتم قراءة وأحسنها ودخل وانصرفنا.

فابتدأت أعمل شعراً أصف فيه خطبته، فوافقتي رقعة بخطه وفيها: أبقاك الله يا محمد، قد لحظك طرفي وأنا أخطب وأنت إلى جانب إسحاق قريب مني، غير بعيد عني، فعرفني على تحري الصدق واتباع الحق كيف ماسمعت وهل تهجن الكلام بزيادة فيه أو اختل بنقص منه أو وقع ذلك في لفظه أو إحالة في معناه جارياً فيه على عادتك في حال الإمرة غير مقصر عنها للخلافة إن شاء الله، فكتبت إليه جواب الرقعة بعد أن أتممت القصيدة.

أمير المؤمنين أدام الله دولته وأطال في الملك مدته أجل خطراً وقدراً، وأسنى مجداً وفخراً، وأوسع خاطرًا وفكرًا من أي يبلغ خاطب خطابته، أو يروم بليغ بلاغته، أو يدرك فيها واصف صفتها إلا بما تناله طاقته وتبلغه غايته.

ولما وصل إلى عبده سؤاله عن حسن ما وعاه وسمعه، وجيل ما حفظه ولقنه من كلامه في خطبته وتصرفه في حسنه -عجز عن بلوغ كنهه لسانه ولم يؤده شرحه وبيانه، ففزع في وصف ذلك إلى قول من كان أقوم بوصف مثله وأشد استقلالاً به وأحسن أداء له وهو حسان بن ثابت في وصف كلام جده عبد الله بن عباس نضر الله وجهه وصلى على روحه فإنه قال فيه:

إِذَا قَالَ لَمْ يَزُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ بِمُنْتَظَّاتٍ لَأَنْرَى بَيْنَهَا قَصْلًا
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النَّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ لِيذِي إِزْدَةِ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
يَقُولُ مَقَالًا لَا يَقُولُونَ مِثْلَهُ كَنَحْتِ الصَّقَا لَمْ يُنِقِ مِنْ عَابَةِ قَصْلًا

وقد عمل عبد أمير المؤمنين أبياتاً في وصف ذلك جعل أمام مدحه تشبيهاً لم يخله من تشبيه مبتدع ومعنى منتزع، إذ كان الأمر قد تقدم إليه أن يجعل ذلك في صدور قصائده، وأوائل مدائحه وهو يأمل أن يقع من استحسان سيده

بحسب تفضله عليه، واصطناعه إياه والأبيات:

أُسْرُكَ يَا مُنْأَيَ وَلَا أُسُوكِ وَأَنْفِي بِالْهُوَى عَرَضَ الشُّكُوكِ
وَأَخِيكَ الَّذِي تَحْسِبَنَّ مِنْهُ كَمَا يَحْمِيكَ مِنْ عَارِ أَخُوكِ
لَقَدْ بُلَّغْتُ فِيكَ مَدَى الْمُنَايَا وَمَا بَلَغَتْ مَدَى عَشْرِ مُنُوكِ
أَرَى الْهَجْرَانَ مِنْكَ يُجِئُ صُبْحِي وَمَا أَذْنَبْتُ لَيْلًا ذَا حُلُوكِ
وَدَهْرُ الْوُضَلِ يَحْكِي لِي رَيْعَا يُشَابِهُ بَنِيهِ خَلَى الْهَلُوكِ
رِيَاضُ نُمْرِجِ الْأَحْطَاظِ فِيهَا مَسُورَةُ الْأَعْيَالِ وَالسُّمُوكِ
بَهَارٌ قَدْ حَكَى الْعُشَّاقُ لَوْنَا عَلَى قُضْبِ حَكَّتُهُمْ فِي التَّهْوِكِ
وَوَزْدٌ مِثْلُ خَدِّ مِنْكَ رَاضِي جِوَارِقِمِ تَبَسَّمَ عَنْ مُسُوكِ
وَضَحْكُ أَقْحَوَانٍ فِيهِ يَحْكِي لَنَا نَفْرًا تَكْشَفُ عَنْهُ فُوكِ
تَطَّلَعَ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ هَذَا مُقَاتِقِ مِنْ لُ أَعْرَافِ الدُّيُوكِ
مَدَاهِنُ مِنْ عَقِيْقِي نَظَّمْتَهَا بِسَادِ خَرْقَاءِ وَاهِيَةِ السُّلُوكِ
حَلَفْتُ بِغُرَّةِ الرَّاضِي فِيَائِي أَرَاهُ حَقِيْقَةً فَوْقَ الْمُلُوكِ
بِأَخْذِ لِمَا يُرْجَى الْوُفِ وَعِيَّافٍ لِمَا يُحْسَى تَرُوكِ
عَبُوسٍ فِي انْتِهَاكَ الْمُلُوكِ فَظُّ وَطَلَّقِي فِي مَدَاهِيْبِهِ ضَحُوكِ
تَهْوِضٍ بِالْحَطُوبِ إِذَا اغْتَرْتَهُ قَرَاهَا هَبَّةَ السَّيْفِ الْبُتُوكِ
عَشِيْقُ الْمُلُوكِ جَاءَ بِإِلَّا كِتَابِ يُرْجَى الْوُضَلِ مِنْهُ وَلَا أَلُوكِ
فَمَنْ لِلْبُخْلِ يُنْسِكُ مَا حَوَاهُ قَمَا هُوَ بِالْبَخِيلِ وَلَا الْمُسُوكِ
أَجَلُ النَّاسِ آرَاءَ وَعَلَمًا مَقَالٌ لَيْسَ يُقَرَّنُ بِالْأَفُوكِ

وَمَا أَحْيَاهُ مِنْ مُنَن تَعَفَّتْ فَدَارَ صَلاَحُهَا دَوْرَ الدُّمُوكِ
رَكُوبٌ لِلْمَنَابِرِ سَارَ قَصْدًا إِلَيْهَا وَهِيَ حَائِزَةُ السُّلُوكِ
فَذَكَّرْنَا مَقَالَ مِنْهُ نَضِلُّ مَقَانَ الْمُضْطَقَى بِجَرَى تَبُوكِ
فَأَطَّلَعَ مِنْهُ شَمْسُ الْمُلْكِ سَعْدًا وَكَانَتْ نَحْسَةً بِشَفَا الدُّلُوكِ
لَا عَتَمِدَنَّ سَنِيرَ الْمَدْحِ فِيهِ بِإِرْقَالِ يَبْرُءَ عَلَى الرُّثُوكِ
أَحْوَكُ مِنَ الْقَصَائِدِ وَشِي مَدْحٍ تُفْضِلُهُ عَلَى الْوَشِيِّ الْمُحْوَكِ
لَقَدْ فَتَكَ الزَّمَانُ بِسُوءِ حَالِي فَأَتَقَدَّنِي مِنَ الزَّمَنِ الْقُتُوكِ

فتأخر الجواب عني بيومين، ثم وافت رقعة يقول فيها قد استحسنت الشعر غاية الاستحسان، ورأيتك تكلفت فيه ما لا يجب عليك من لزوم الواو في أرداف القافية، ورأيت المدح مليحاً قد وقع كله في القسم^(١)، ورأيت في صدر الأبيات في نهاية الحسن، تقدمت فيها كل من وصف ما وصفت، وخاصة بيت البهار لتشييه شينين فيه. وقد تأملت البيت الأخير وأنفذت إليك في هذا الوقت ما تبني به المنهدم من حالك، إلى أن تنجلي الهبة التي نحن فيها إن شاء الله. ومع الرقعة صرة ديباج مختومة بخاتم راغب الخادم، فيها ثلاثمائة دينار.

- وتنكر الساجية والحجرية للوزير، بعد أن صالحوا الخرشني، ورجع الجميع إلى منازلهم، وانحدر الوزير إلى دار السلطان بأرزاقهم، فعرفهم أن لا مال عنده، فوثبوا به وقبضوا عليه، والسلطان يراهم، فوثب ودخل وأمر راغباً يتسلم الوزير ويكون في يده، وأن لا تجري جناية عليه.، ونهب الناس داره

(١) كذا في الأصل ولعله النفس.

ودار ابنه الملاصقة لداره، وطحوا فيها النار، ونهب جماعة من كتابه.

وأحضر أبو علي عبد الرحمن بن عيسى في هذا اليوم، فولي الوزارة وهو يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى بعد أن عرض السلطان الوزارة على علي بن عيسى واستعفاه فأعفاه.

وكان من العجائب المشهورة أن دار ابن مقله أحرقت في مثل اليوم الذي أمر فيه بإحراق دار سليمان بن الحسن بباب محول، وفي مثل ذلك الشهر بينهما حول كامل، وظهر في عشية هذا اليوم سليمان بن الحسن والخصيبي، واستوحش الخرشني الساجية والحجرية. وتحول فنزل دار الحسن بن هارون، وشغل عن العامة فعاتوا، ثم صار إليه جماعة من الحجرية فحلفوا له أنه واحد منهم فرضي ورجع إلى داره وكتب على حيطان ابن مقله:

أَحْسَنْتَ ظَنَّنَكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتُ وَ لَمْ تَحْفَ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَأَلْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتَ بِهَا وَ حِينَ تَصْفُو اللَّيَالِي يَخْدُثُ الْكَذْرُ

وتحتة: صنع بدارك مثل ما صنعت بدار سليمان.

وحول ابن مقله إلى دار الوزير أبي عبد الرحمن، فأحسن إليه وسلمه إلى هنكر وما كرد ليكون في أيديهما، ويناظره سليمان في الأموال بحصرتها في يوم الأحد لثمان ليال بقين من جمادى الأولى في دار النوشري بقرب الحبس.

واتصل بالسلطان أن أبا الفتح بن ياقوت قد حجب جماعة محمد الأولياء وحملهم على الفتك بالخليفة والبيعة لأخيه عبد الواحد، فقبض عليه بين يدي الخليفة، وثب به الخدم وحبسوه في حجرة لأربع ليال بقين من جمادى الأولى. وصرف الخرشني عن شرطة بغداد لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، وولوا كاجو الجانب الغربي، وجعل الجانب الشرقي إلى أبي الفتح تتج الحجرية وأخيه أبي الفوارس سخرياس شركة بينهما.

وناظر سليمان ابن مقلة وانفرد له ابن الحارث فلقى ابن مقلة منه عنتا وأعطى خطه بهال يقال إنه ألف ألف دينار، وعنه وعن جميع أسبابه، أربعمائة ألف دينار منها معجلة، ثم لم يحمل شيئاً، فحرك السلطان علي بن عيسى وأخاه الوزير في ضمان ابن مقلة، فوجها إليه بالخصيبي فقرر الأمر على نحو الأول، على أن تقوم ضياعه وتؤخذ، وينجم الباقي في سنتين.

وعز الخبز والدقيق فلم يوجد أياماً ببغداد، ووقع في الناس طاعون عظيم فتفانوا ببغداد وما سواها. وضرب الخصيبي ابن مقلة. ضرباً مبرحاً، وأحاله على جماعة منهم ابن المجلس الفقيه فاعترف بخمسة آلاف دينار عنده لابنه أبي الحسين وأمر بحملها فحملها، ومات في تلك الليلة من سكتة عرضت له، وكان فقيهاً على مذهب داود جدلاً موسراً، وذلك لأربع خلون من جمادى الآخرة.

وفي هذا الشهر رخصت الأسعار، وبلغت الساجية والحجرية أن السلطان على الخروج إلى الموصل، فقالوا: هذه حيلة علينا، وقالوا لجعفر بن وراق، هذا عملك ثم بطل ذلك.

وتوفي يوم السبت لأربع خلون من رجب أبو محمد العلوي الرملي رحمه الله، ولو قلت إنني ما رأيت أفضل منه في دينه وزهده وكرمه، لما خفت إثماً، ودفن ببراثة وكان من لم يلحق الصلاة عليه يصلي على قبره أياماً.

وطلب سعيد بن عمرو بن سنكلا - عند أبي الحسن علي بن عيسى وعند أخيه أبي علي - ما كان يجده عند غيرهما فعز ذلك عليه ولم يستحلاً أن يمدا إلى أموال الناس، فحمل الرازي على عزلهما، فقبض على عبد الرحمن يوم الاثنين لست خلون من رجب. وخلع على أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي وولي الوزارة، وكانت مدة أيام عبد الرحمن خمسين يوماً، وسلم ابن مقلة إليه

ليناظره، ووجدت له خزانة في دار ربطة فيها ذهب وفضة ومتاع يساوي نحو مائتي ألف دينار، وقبض على أبي عبد الله بن عبدوس وصوردر على مائتي ألف دينار، فتكلم سعيد بن عمرو في حطيطة والوزير يخالفه حتى شرق الأمر بينهما، فكان ذلك سبب زوال الكرخي، وأدى ثم نين ألف دينار وأطلق.

وصوردر علي بن عيسى وأخوه، وصرفا إلى منازلها من دار الوزير، ومات أبو بكر بن مجاهد القارئ يوم الجمعة للنصف من شعبان، ولم يُر مثله ولا رأى هو مثل نفسه في علمه، وخلف مالا صالحا وورد تابوت جحظة من واسط، وكان شخص إلى ابن رايق. فيا بعد ما بين الاثنين، على أن جحظة كان أحذق الناس بصناعته، وكان له شعر صالح، وكان يروي أخبارا عن رأى، ومات أيضا قريض المغني، غلام محمد بن داود في هذا الوقت.

وقبض على عبد الله بن يونس، وعلي ابن شيب وطولبا بأموال فلم يوجد عندهما ما ظنه من يسعى بهما، فأخذ من الساعي بابن يونس مال وكان كالشريك له. وصوردر على شيء يسير وأطلق. وصوردر ابن مقلة في شهر رمضان على مائة ألف دينار فإذا أداها أطلق؛ وضمن المال عنه ابن قرابة وحوله إلى داره. وتحقق ابن قرابة بأمر الوزير الكرخي وغلب عليه، وورد الخبر في شهر رمضان بقتل ياقوت قتله غلمان اللوش البربري فاضطرب الحجرية، فوجه الرازي يحلف أن ذلك قد مءاء، وما كان له إذن.

وضج الحنبلية فيه من أمر ابن شنبوذ، فحمل إلى دار السلطان ونوظر، والسلطان يسمع من وراء حجاب وتاب وحبس، واستتر الوزير الكرخي يوم الاثنين لثمان خلون من شوال وأحضر سليمان بن الحسن فخلع عليه للوزارة وانصرف إلى منزله يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال.

وفي هذا الشهر مات المعروف بزنجي الكاتب، وكان مقدما في الكتبة مذ

أيام أحمد بن محمد بن الفرات وهو الذي اصطنعه، وكان كاجو وينال انحدر إلى ابن رايق فوصلهما ورجعا ثم انحدر كاجو وماكرد وتكنجور وصافي قواد الساجية، وانحدر معهم أبو جعفر بن شيرزاد والحسن بن هارون وأبو بكر بن الصيرفي، انحدروا بخلع السلطان على ابن رايق ليكون أمير الأمراء، فوافت الأخبار إلى بغداد يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة بأن ابن رايق قبض على قواد الساجية فحبسهم وحبس معهم الحسن بن هارون، وتقطع أصحابهم وفروا وسلبوا ونهبوا.

وورد كتاب ابن رايق يعتد على السلطان بقتله أعداءه المارقة الطغاة قرئ على المنابر، ووافى بغداد لؤلؤ غلام المتهشم والياً الشرطة من قبل ابن رايق، فتسلم يوم الخميس لثمان بقين من ذي الحجة وبث خلفاءه فيه وعزل تجج وبخرياسن، ودخل ابن رايق بغداد يوم السبت لست بقين من ذي الحجة، وخلع عليه ونزل في الحلبة في دار السلطان وطالبه بالخروج إلى واسط ليم تدبيره ويرمجه من الحجرية، وورد خبر الطير من فاتفك بأن صغار الساجية قصدوا داره لكبسها واستخراج قوادهم منها، وأنه رمى إليهم براء وسهم واستبقى الحسن بن هارون وصافياً، وكان ابن رايق أنفذ محمد بن يحيى بن شيرزاد وقت قبضه على الساجية إلى بني البريدي في أشياء بينه وبينهم.

سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

خرج الرازي إلى واسط لليلتين خلتا من المحرم، فوصل إلى واسط يوم الأربعاء لخمس خلون من المحرم، وابتدأ ابن رايق في عرض الحجرية فلم يصبروا على ذلك، واجتمعوا فحاربوه لأيام بقين من المحرم، وكانوا مستظهرين عليه حتى خرج بجكم كميناً عليهم، فوضع السيف فيهم فولوا منهزمين وأسر من رؤسائهم جماعة فيهم خمارجور أسر، وبه ثلاث عشرة ضربة، وسلحجور ويمن القرواني وبه ضربة قد ذهبت بإحدى عينيه، وفارس

بن ينال، وغرق خلق منهم وتقطعوا في الصحارى وسلبهم أهل القرى وقتلوهم.

وكتب إلى لؤلؤ بالقبض على من يبغداد منهم وإحراق منازلهم، وغنم بجكم وأصحابه غنيمة عظيمة من دوابهم وسلاحهم وأموالهم، وكان أبو الحسين علي بن محمد البريدي قد وافى واسط فأوصله ابن رايق إلى الرازي حتى خاطبه، وولاهم الأهواز والبصرة، وخلع عليه ابن رايق الخلع التي كان الرازي خلعها عليه حين ظفر بالحجرية وركب معه، ورجع السلطان إلى بغداد فدخلها يوم الاثنين لثمان خلون من صفر، وقدم ابن رايق معه فنزل دار مؤنس، ونزل بجكم دار محمد بن خلف النيرماني بشريعة سوق الدواب، ونزل القرامطة في البضلية، وتفرق باقي أصحابه.

وكان الحجرية ببغداد قد حاربوا لؤلؤا قبل قدوم الخليفة فحاربهم في رحبة العامة من بعد العصر إلى المغرب فظفر بهم وتفرقوا وكان ابنا الصلحي قد نظرا في الأمور لكتبتهما لابن رايق، فلما قدم فسد أمرهما ودار أمر ابن رايق على الحسين بن علي النوبختي، وهو الذي دبر له جميع ما مضى وبلغه هذه الحال.

ومات الجريري المحدث أبو أحمد لسبع خلون من المحرم. ومات القاضي ابن أبي الشوارب يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم. ومات بسر من رأي إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي المحدث الذي كان قدم بغداد، وخلع علي بجكم ليوم الاثنين لسبع خلون من شهر ربيع الآخر، وولي إمارة بغداد وعقد له لواء لولاية المشرق إلى خراسان.

وخلع علي لؤلؤ لإمارة الكوفة، وخلع على عمر بن محمد لقضاء القضاة. وصلاح أمر أبي علي بن مقلدة؛ لأنه طرح نفسه على ابن رايق النوبختي فكلم له

الحسين بن علي بن العباس كاتب ابن رايق فأصلح أمره، وأوصله إلى الأمير فأمره بفتح بابه.

ومات ابن نزار في النصف من شهر ربيع الأول، وفيه تقلد الخصيبي أزمة جميع الدواوين وخلع على ينال ووراء الجبل ووجد جماعة من الحجرية مع هنكر للجبل واستحلفوا وأطلقت أرزاقهم فخرجوا إلى الدسكرة وهم نحو خمسمائة، فأوقعوا بأكراد وأعراب فغنموا غنيمة عظيمة، ثم مضوا إلى بني البريدي فغلظ ذلك على السلطان وأمر بالنداء: أنه إن وجد أحد من الحجرية بعد ثلاث قتل.

ولحق من كان بقي من الساجية ببغداد بالموصل بأصحابهم فإن من كان منهم ببغداد في وقت الحادثة على قوادهم لحق بالحسين بن عبد الله بالموصل وأحسن إليهم وأرزقهم وصرفهم، فلحق بهم من كان ببغداد، وكان من رؤسائهم بالموصل شفيع الخف.

ومات في شهر ربيع الآخر أبو بكر بن أبي الأزهر، وزعم أن مولده سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وكذب أصحاب الحديث؛ لادعائه السماع من أبي كريب وسفيان بن وكيع وإسحاق بن الضيف ونظرائهم.

ووافي القرمطي الكوفة في آخر شهر ربيع الآخر فخرج ابن رايق لثلاث خلون من جمادى الأولى إلى مضربه بالياسرية في أحسن عدة وأكمل زي، ومعه بجكم وأحمد بن نصر القشوري وجماعة من القواد، ونفذ بجكم في المقدمة إلى القصر فوجدوا لؤلؤًا وحقهم ابن رايق ومعه بجكم إلى النعمانية، ثم رحلوا إلى واسط ليزيلوا أمر ابن البريدي.

ومات ابن ميسر المحدث بواسط وكان سيدًا. ومات أبو يوسف كاتب أم المقتدر يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة.

وأمر بلعن البريديين ببغداد، وأشهد الرازي القضاة والعدول على نفسه أن قد رد أمر البريديين في حريمهم أو تركهم أو لعنهم أو مقاطعتهم إلى ابن رايق، وأنه يرضى كل شيء يعمله في أمرهم وطلب أسبابهم ببغداد وكتب على أملاكهم صوافي.

وقلد لؤلؤ بغداد يوم السبت لست خلون من رجب وخلع عليه. وصار إليه من عمل الكوفة إلى بغداد، ومن الأنبار إلى بغداد، ومن النعمانية إلى بغداد. ومات إبراهيم الجاثليق يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان وقبض أبو عبد الله الكوفي على ابن شيرزاد لتسع بقين من شعبان وظفر بفتنة جارية البريدي فعذبها ابن مقاتل، فقالت له وهو يعذبها: «يا ابن مقاتل من الرفش إلى العرش!».

وصار ابن رايق إلى دجلة البصرة فواقعه أصحاب البريدي فهزمهم وصارت البصرة لهم خالصة. وقطع أمر ابن شيرزاد على تسعين ألف دينار بخمسة وعشرين ألف دينار منها ضياع، وما بقي فبعضه معجل وبعضه مؤجل وأطلق إلى منزله لست بقين من رمضان وتآلف لؤلؤ العيارين وأصحاب العصبية وأثبت بعض العيارين. ووصل أبو الفتح الفضل بن جعفر بن فرات إلى بغداد في شوال. ووصل إلى الخلفية، واستوزر يوم الخميس لسبع خلون منه..

وكان بجكم قد هزم البريديين وملك الأهواز فصاروا إلى البصرة والأبلة وأقاموا بها ومعهم قوادهم وأكثر رجالهم قبل هذا الوقت وصار فاتك حاجب ابن رايق إلى دجلة البصرة ليأخذ البصرة فلقية بالفتح إقبال فهزمه ورده إلى الجامدة. ومات شيخ مسند يعرف بالزعفراني، نزل دار عمارة وانحدر الوزير والقاضي عمر بن محمد والكوفي في ذي القعدة إلى واسط، إلى ابن رايق.

ومات أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى في ذي الحجة، وكان عنده إسناد ليس بالرفيع. ورجع الوزير إلى بغداد ولم يلق ابن رايق لأنه خاف أن يطالبه بهال. ودخل الكوفي بغداد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، خليفة لابن رايق فجمع مالاً وخرج إليه لثلاث بقين من ذي الحجة.

سنة ست وعشرين وثلاثمائة

رجع القاضي عمر بن محمد إلى بغداد لليلتين خلتا من المحرم. ونزل الوزير داره التي على دجلة بين القصرين، ووجه إلي يأمرني أن أحمل إليه كتاب الكتاب الذي ألفته فاستحسنه، وكان جميع من يدخل إليه ممن يأنس به ويعلم أنه يفهم، يقول له: لقد سرتني أنه بقي في الزمان من يحسن أن يؤلف مثل هذا! ووصلني بثلاثمائة دينار وأعطى الحشم رزقه وألحق اسمي بهم وأطلق رزقي وزاده في جملة المال، وكان ابن مقلة قد أخرجني من جملتهم وأفردني لما جالسه ابنا المنجم وشعثاني عنده فكاتبته بأشعار يغفر بها الكبائر من الذنوب فما عطف علي! منها أي مدحته بقصيدة ما مدح بمثلها قط، فما استمتع الشعر مني، فأنفذته على يد أبي بكر بن الخياط النحوي، فلما قرأه قال له قد هجاك في القصيدة فقال ابن الخياط أين الهجاء من هذه القصيدة، قالوا قوله:

مَا عَلَى الْأَرْضِ مَادِحٌ لَكُمْ قَبْ — إِلِيَّ وَحَقِّي مَا يَبْسُوكُمْ مَهْضُومٌ

وأنت فقد مدحك قبله عبيد الله بن عبد الله، وابن بسام فكيف صار هو أول من مدحك، فقال ابن الخياط: إنما عني الرجل: ما على الأرض ما بقي أحد مدحك قبلي، ولم يقل ما تحت الأرض، وأعانه أبو عبد الله أخو الوزير وناظر فيه على حق وصواب، وهو لا يسمع إلا قولهما، قال: فلم يكن لنا حيلة. وأنا أذكر الشعر وإن كان طويلاً لخصال، منها: أنه حسن، ومنها: أنه ما مدح بمثله، ومنها: تكذيب من زعم أني هجوته فيها وهو:

أَنَا مَنْ بَيْنَ ذَا الْوَرَى مَظْلُومٌ
 تَتَخَطَّأَنِي الْحُطُوطُ فَاسْتَسْنَى
 كَمْ تُرَى فِي الزَّمَانِ مِثْلِي حَتَّى
 قَدْ تَعَدَّانِي اخْتِيَارَ كَرِيمٍ
 وَهُوَ أَعْلَى الْكُفَاةِ بَجْدًا وَفَضْلًا
 لَيْسَ هَذَا إِلَّا لِتَأْخِيرِ حَظِّ
 لَسْتُ أَشْكُو أَبَا الْحُسَيْنِ وَحَاشَا
 أَنَا لَوْلَمْ تُهْ وَقَدْ حُصَّ غَيْرِي
 أَتُرَانِي أَخْلَلْتُ بِالْعِلْمِ حَتَّى
 لَوَرَمَى بِي الزَّمَانُ عِزًّا تَلِيدًا
 كَيْفَ نُجْسِلِي عَلَيْهِ أَبْكَارَ لَفْظٍ
 أَتُظَنُّ النَّدَامَ تَهْرَضِي بِهِذَا
 أَيْنَ مَنْ جَالَسَ الْخَلَائِفَ قَبْلِي
 طَائِرِي سَاكِنٌ وَفَكْرِي عَزُوفٌ
 وَكَلَامِي قَدْرُ الْكِفَايَةِ إِلَّا
 فَأَعِينُوا عَلَى الزَّمَانِ بَعْدِي
 لِي عِدَاتٌ طَيْرُ التَّقْبَاضِي عَلَيْهَا
 وَالْوَزِيرُ الصَّغِيرُ فِيهَا زَعِيمٌ
 هِيَ دَيْنٌ عَلَيْهِ وَهُوَ مَلِيءٌ

وَإِذَا مَا حَصَمْتَهُمْ مَحْضُومٌ
 وَمَكَانِي مَنْ عَلَيْهِمْ مَعْلُومٌ
 لَمْ يَرْمِزِي الْوَزِيرُ فِيمَنْ يَرُومُ
 وَهُوَ طَبِّ بِالِاخْتِيَارِ عَلَيَّمُ
 إِنَّ ذَا مَا عَلِمْتُ حَظَّ جَسِيمُ
 حَقُّهُ حِينَ يُنْصَفُ التَّقْدِيمُ
 هَلْهُ دُونَ ذَلِكَ التَّعْظِيمُ
 بِدُنُوِّ مَنْ الْوَزِيرُ مُلْسِمُ
 شَدَّ مَنِّي التَّخْلِيلُ وَالتَّحْرِيمُ
 لَمْ يَرْضَنِي اللَّذْكَاءُ وَالتَّغْلِيمُ
 وَلَسَهُ فِي الْأَنْهَامِ مِثْلِي نَدِيمُ
 لَا وَنَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمُ
 وَأَفْرُ حِينَ تُسْتَحَفُّ الْحُلُومُ
 عَنِ فُضُولِ الْمَنَى وَالْحُظْيِ سَلِيمُ
 شَرَحَ عَلَمِي وَجَانِبِي مُسْتَقِيمُ
 إِنَّ ذَنْبَ الزَّمَانِ عِنْدِي عَظِيمُ
 طَلَبَا لِلنَّجَاحِ مِنْكُمْ مَحْمُومُ
 بِالَّذِي أَرْجِي وَنَعَمَ الزَّعِيمُ
 مُنْصِفٌ مِنَ الْعِدَى وَدَهْرِي ظَلُومُ

لِعَلِّي عَلَى الْأَنَامِ اعْتِلَاءٌ
 وَرَبَّكَ الْمَجْدُ مِنْ غَطَّارِفِ شُؤْمٍ
 فَهُوَ يَنْخُو الْوَزِيرَ فِي كُلِّ فَضْلٍ
 أَنْفُسُ تَغْشِقُ الْمَكَارِمَ وَفَنَسَا
 فَعَلِيٌّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ
 ذَلِكَ بَدْرٌ لَنَا وَهَذَا هِلَالٌ
 لَمْ تَلِدْ مِثْلَهُ الْمُلُوكُ كَمَا لَا
 مَنْطِقًا يَشْغُلُ اللَّحَاطِظَ بِحُسْنِ
 تَسْتَرْدِ الْعُيُونُ حُسْنَنَا إِلَيْهِ
 وَتَفْكَادِ بَقَرِي السُّوَيْيِّ سُرُورًا
 لِنُؤْمِنَنَّاهُ وَالِدَ مَا عَدَاهُ
 لَمْ يُمَخَّضْ بِمِثْلِهِ مُقَرَّبُ الدَّهْرِ
 لِنُؤْمِنَنَّاهُ النَّجْمُومُ فِي طَالِحِ الْمَجْمُومِ
 لَيْسَ يَأْتِي بِجِئْلِهِ الدَّهْرُ فَضْلًا
 كُلُّ رَهْنٍ فِي سُؤْدُدِ أَغْلَقُوهُ
 أَنْتُمْ يَا بَيْتِي عَلِيٌّ نُجُومٌ
 حَيَّمَتْ فِيكُمْ تَحَاسِنُ حَظٍّ
 قَلَمٌ جَامِعُ بَيِّنَاتٍ وَحُسْنَانَا
 تَبَاهَى بِهِ الْقَرَّاطِيْسُ حُسْنَانَا

حَادِثٌ مِنْ جَلَالِهِ وَقَدِيمٌ
 غُرَّرٍ لَا يُعَدُّ فِيهِمْ بِهِ سِيمٌ
 لَيْسَ يَنْخُو الْكَرِيمَ إِلَّا كَرِيمٌ
 فَرَقَّتْهَا عَلَى انْتِلَافِ جُؤْمٍ
 طَابَ قَرَعَاهُمَا وَطَابَ الْأُرُومُ
 ذَا هَوَاءٍ لَنَا وَهَذَا نَسِيمٌ
 فَهُوَ نَارٌ مِنَ الْعَدُوِّ مُنِيمٌ
 فَهُوَ نَارٌ عَلَيْهِ لَيْسَ يَسِيرُومُ
 مِثْلَ مَا يَسْتَرِدُّ دَيْتَا غَرِيمُ
 وَتَرْدُ الْعَدُوِّ وَهُوَ كَظِيمٌ
 وَإِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ التَّحْكِيمُ
 سِرٌّ وَلَا اسْتِثْمَامَ شِبْهَهُ مَنْ يَسُومُ
 دَلِقْنَا حَابَتَهُ فِيهِ النَّجْمُومُ
 هُوَ عَنِ ذَلِكَ غَيْرَ شَكِّ عَقِيمٌ
 فَلَهُ السَّبْقُ فِيهِ وَالنَّسْلِيمُ
 لِلْوَرَى فِي الضِّيَاءِ لَيْسَتْ تَغِيمُ
 لَاحٌ مِنْهَا لِلنَّاسِ دُرٌّ عَظِيمٌ
 مَا حَوَى فِيهِ مِثْلَكُمْ إِفْلِيمُ
 مِثْلَ وَشَيْءٍ تَرُوقُ مِنْهُ الرُّقُومُ

وَكَلَامٌ كَأَنَّهُ زَهْرُ السَّرْوِ
 قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ عُيُونُ الْمَعَايِ
 لَكُمْ إِنْ تَسْتَوِيهِ الْجُودَ جَوْدٌ
 وَسَحَابٌ مِنَ النَّوَالِ وَسَاعٌ
 مَذْحُكٌ وَاجِبٌ عَلَيَّ كَفَرَضٍ
 لَيْسَ لِي فِي تَأْخِرِي عَنْكُمْ ذَنْبٌ
 كَلَّمَا جَنَّتْ حَالُ دُونِي حِجَابٌ
 كُسِرَتْ دُونِي الْحَوَاجِبُ غَمَزَا
 لَمَعَتْ لِي بِخُلْسِبِ الْوَمُضِ مِنْهَا
 فَكَأَنِّي لَسَدَيْهِمْ شَخْصٌ بَسُو
 طَبَعُهُمْ ظَاهِرُ الْقَسَاوَةِ فَظُّ
 لَيْسَ لِي فِي الْوُصُولِ وَقْتُ اخْتِصَاصٍ
 فَأَيْسِمُ الْكُرُوبِ فِي مَسْرَحِ الْقَلْبِ
 مَا هَبَا مَشْرَبٌ عَلَيْهِ مَعَ الظُّنْمِ
 وَاللَّذِي يُوجِبُ الْمُدِيحَ لِشُرْحِي
 لَا تَكْرُؤَا عَلَيَّ فِيهِمْ مَلَامَا
 وَكَذَا جَاءَ فِي التَّلَاوَةِ نَصْرًا
 كُلُّهُمْ فِي أَوَانٍ إِذْنِ عَدُو
 وَيَنَامُ عَنْهُمْ كَتَوَمَةِ أَهْلِ السَّ

ضِي بَدَتْ لِلنُّجُومِ مِنْهُ نُجُومٌ
 وَأَصْأَاتٌ فِي جَانِبِيهِ الظُّلُومُ
 وَأَقِيعُ دُرَاهُ وَخِضْبُ مُلِيمٌ
 ضَاقَ عَنْهُ سَحَابُهُ الْمَرْكُومُ
 لَيْسَ فِيهِ لَفْوٌ وَلَا تَأْنِيمٌ
 سَبُّ وَانِي مِنْ أَجْلِهِ مَهْمُومٌ
 وَتَعَالَتْ لَهُ عَلَيَّ الْهُمُومُ
 وَبَدَا لِلْعُيُونِ لُحُوحُ دَمِيمٌ
 يَنْوَاجِي بِسِهِ لِحَاطُ سَقِيمٌ
 لَمْ تُعْطَفْ عَلَيْهِ ظَنَرُ رَعُومٌ
 لَيْسَ فِيهِمْ مَعَ الْبَلَاءِ رَجِيمٌ
 وَكَذَا فِي الْعُمُومِ مَالِي عُمُومٌ
 سَبُّ وَمَرْعَى الْحِجَابِ مَرْعَى وَخِيمٌ
 ءِ وَوَرْدِ الْإِنْخِصَاسِ إِلَّا الْحَوْمِيمُ
 جُمَّهُ الْقَاءُ وَالنَّبَاتُ الْجَمِيمُ
 فَعَدَابُ الْحِجَابِ عِنْدِي أَلِيمٌ
 لَيْسَ بَعْدَ الْحِجَابِ إِلَّا الْجَحِيمُ
 وَصَدِيقِي فِي غَيْرِ إِذْنِ نَحْمِيمُ
 كَهْفٌ لَوْلَا وَصِيدُهُمْ وَالرَّقِيمُ

لَمْ يَلِدْهُمْ جِوَارُ سَعْدٍ كَمَا قَا
مَا أَعْلَى عَلَيْهِمُ اللَّوْمُ لَكِنْ
وَعَطَايَاكَ إِنْتَهَا فَنِيضُ بَخِيرِ
أَمِنَ الْحَبِيقُ أَنْ يَجِفَّ نَسْرَى رَبِّ
لِي مِنْ غَيْثِهِ رَذَاذٌ وَطَلُّ
نَامَ حَظِّي فَأَيُّقُطُوهُ بِجُودِ
قَدْ تَشَكَّيْتُ مَا أَلَا قِي إِلَيْكُمْ
كُلُّ مَنْ أَخْطَأْتَهُ رَحْمَةٌ عَظِيمِ
فِي زَمَانٍ طَرَزْتُمُوهُ بِجُودِ
لِي بِكُمْ حُرْمَةٌ ثَلَاثِينَ عَامًا
لَيْسَ لِي مِنْكُمْ اخْتِصَاصٌ بِأَنْسِ
مَا عَلَى الْأَرْضِ مَا يَرِجُ لَكُمْ قَبْ
حِينَ سَيْفُ الْمُدَيْحِ مُدْرَعُ الْغَنَمِ
لِي مِنْهُ وَخَلْدُ الْمَسِيرِ وَنَصُّ
وَعُيُونَ الْأَمَالِ تُطْشَرُفُ عَنْكُمْ
مِدْحِي سَبَقٌ وَإِذِي سُكَّيْتُ
مِدْحٌ مُلْكَتِ رِقَابِ الْمَعَانِي
شَغَلْتَهَا عِلَاكُكُمْ مِنْ مَعَانِ
فَهُوَ زَنْ لِي سُرْتَجِيكُمْ وَعِزُّ

لَ جَرِيرٌ وَكُلُّهُمْ مُرْكُومٌ
مُلْزِمِي فِيهِمُ الْمَلَامَ ذَمِيمٌ
إِنَّ شَيْطَانَ مَنَعَهُمْ لَرَجِيمٌ
عَمِي مِنْكُمْ وَعَيْشُهُمْ مَسْجُومٌ
وَلَقَرِي الْأَجَشُّ مِنْهُ الْمَزِيمٌ
إِنَّهُ بَعْدَ بَدَيْتِكُمْ تَنَمِيمٌ
مِثْلَ مَا يَشْتَكِي الْوَصِيَّ يَتِيمٌ
مِنْ نَدَاكُمْ وَأَنْسَكُمْ مَرْحُومٌ
وَهُوَ لَوْلَاكُمْ زَمَانٌ لَتِيمٌ
غَيْرَ آتِي مَبَاعِدَ مَرْجُومٌ
بَلْ أَرَى ظَاعِنًا وَعَظِيمِي مُقِيمٌ
لِي وَحَقِّي مَا بَيْنَكُمْ مَهْضُومٌ
بِدَايِكُمْ مَا سَأَلَهُ التَّضْمِيمُ
وَلَقَرِي خِنَافُهُ وَالرَّسِيمُ
مَا لَهَا نَحْوُكُمْ لِحَاظُ تَدُومٌ
مَا قَضَى مِثْلَ ذَا الْقَضَاءِ سَدُومٌ
عُظِّلْتِ مِنْ حَلِيهِنَّ الرُّسُومُ
سَيِّمَتْ مَرَّهَا عَلَيْهَا السُّمُومُ
وَنُجُومٌ عَلَى عِدَاكُمْ رُجُومٌ

وَلَا لِي لَكُمْ يُضِيءُ سَنَاها
 وَتُحْوَسُ لِسَانِيكُمْ حُسُوم
 حَرَّمَ اللهُ أَنْ يَكُونَ جِنَابِي
 مُجْدِبًا مِنْ نَدَائِكُمْ وَالْحَرِيمِ
 ضَامِنِي الدَّهْرُ بِاجْتِنَابِكُمْ قُرُ
 بِِي وَمَنْ ضَامَهُ الزَّمَانُ مُضِيمِ
 أَنْصَفُونِي فِي نَظْمٍ مَا قُلْتُمْ فِيكُمْ
 هَلْ يُدَانِيهِ لَوْلَاؤُ مَنْظُومِ
 هُوَ لَفَظٌ تَحَكَّمَ الطَّبَعُ فِيهِ
 مِثْلُهُ لَا عَدِمْتُمْ مَعْدُومِ
 وَتَخَطَّى عِرَاصَكُمْ بُؤْسُ دَهْرِي
 وَتَوْتَمَّ بِمَسِيرَةٍ وَتَوَيْمِ
 كَلُّكُمْ فِي مُعَجَّلِ الدَّهْرِ وَالْآ
 جِلِ جَمِّ الْعُلَى مُعَافَى سَلِيمِ

وبلغ الرازي أمر القصيدة، فقال كتبها لي حتى أنظر فيها، فلما قرأها قال لي: أنت والله معهم في هذا كما قال البحري:

إِذَا تَحَاسِنِي اللَّائِي أُدِلُّ بِهَا
 كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
 عَلَيَّ تَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا
 وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ

فما نفعتني ذلك شيئاً بل ضررتني. وإلى وقتي هذا أنا في خمار كأسهما التي أعدداها لي، فما يقبل علي من وليا به عني وأحمد الله.

وفي المحرم أمر رجل يعرف بالحواجبي، علي خال سنكلا نصراني يعرف بأبي عمرو بن شريح بمعروف فشكا ابن سنكلا بعبد الله إلى الرازي فأمر بالقبض على الحواجبي، وأمر بإحضاره الدار، وأن يضرب بالسياط. فما زال إسحاق بن المعتمد وما زلت معه نكلمه فيه ونعلمه أن قتل هذا عظيم وسمع ضجة، فقال لذكي الحاجب: ما هذا؟ قال أهل باب الطاق في أمر الحواجبي. فقال لئن زادوا لأخرجنه إليهم مصلوباً هذا لم يرض أن وثب علي كاتبني حتى تخطي إلى ذكرى فوجهنا وصرقناهم، ولم نزل حتى أمر بحبسه، وأفلت من غير

ذلك.

وبلغ هذا البرهاري فعاتبني فيه وخاصمني، وجاءني أصحاب الحواجبي يشكروني، فقلت: اعفوني من هذا فإنني في بلاء عظيم، وتكلم فيه كل جليل فما نفع. وشاورني أصحابه فعرفتهم أن الرازي لا يفعل إلا ما يريد ابن سنكلا، وأشرت بأن يقصدوه في أمره فكلموه فيه غدوة يوم فأطلق في عشيته. وخرج الرازي معه الوزير متنزهاً وخرجنا معه فسار من الجانب الشرقي حتى حارتني بُزوغى ثم عبر إليها فأقام يومين ورجع. وورد لعشر خلون من المحرم رجل يعرف بالخلنجي كان يحمل الخريطة إلى مكة ويسبق بالأخبار فأخبر بسلامة الناس وتمام الحج.

ومات يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم موسى من ولد الرضا، وكان من أسن ولد الحسين - عليه السلام - في وقته، ونودي في الطريق بحضور جنازته، وكان من الزهد والطهارة على طريقة سلفه رضي الله عنهم وعنه.

وكثر الضجيج من تعنت أصحاب لؤلؤ للناس ووضع الجبايات عليهم وإغرامهم، فعزل عن شرطة بغداد، ووليها محمد بن بدر الشرابي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر.

ومات شيخ بالكوفة محدث مسند، يعرف بسوداني كان عنده عن أبي كريب وعباد بن يعقوب، ووافي رسول ملك الروم بهدايا كثيرة منها صياغات وثياب ديباج ومقارم وآنية ذهب، طريقة الصياغة، فجلس الرازي يومها فعرضها علينا، ووهب لنا أكثرها، وما كان شيء ألد عنده من شيء يهبه وطعام يؤكل بين يديه ما بخل بشيء قط، وما سمع بكامل جود منه.

وورد الخبر بوقعة كانت لابن رايق إلى دجلة البصرة، ودخل نهر معقل

فوافى البصرة، فعجل بعض أصحابه، فطرح حريقًا في جزيرة حيال البصرة، وكان يبلغ أهل البصرة أنه يريد قتلهم وإحراق بلدهم وخاطب بذلك بعض رؤساء البصرة ممن قصده، فلما رأى ذلك أهل البصرة أعانوا البريديين فهزم ابن رايق وأفلت هو وبجكم من أن يؤخذ ورجع إلى دجلة البصرة فعسكر بموضع يعرف بعسكر أبي جعفر حيال نهر معقل، فلما طال الأمر عليه رحل صاعدًا إلى واسط.

وركب الرازي في شعر ربيع الأول إلى أجمة بالثريا يطلب فيها خنازير، وركبنا معه فرأينا في الموكب فرسانًا لا نعرفهم فطاف ساعة، ثم عدنا معه فتغدى وكان النهار قصيرًا وصلينا الظهر وركب، فرأينا الفرسان قد زادوا وأنكرهم الحاجب ووافى محمد بن بدر الشراي في مائة فارس، فلما رآه الفرسان تفرقوا فلم نر منهم أحدًا فصاد خنزيرا وانصرفنا، فقال لنا بعد: من أي شيء أفلتنا يوم الخنازير؟ وإنا لبين يديه في الحجرة التي كان يجلس فيها، ونحن أربعة، وكذا كانت نوبتنا إذ أدخل رجل مشدود العينين بذراعية وخف، فلما أقيم بين يديه، قال: مالنا نحن قرامطة، فقال له الرازي: يا بن الفاعلة، لو كنت محتاجًا لعذرتك، ولكن من رشحك لهذا قد أغناك وجعل إليك نقابة، ومولك فك الكلب النابح، فضربوا فكه وهو يقول: بترية المقتدر ارحمني، وإذا هو أبو عبد الله بن المنتصر والمنتصر جده. ثم قال له الرازي: والله ما طلبت هذا الأمر، فأما إذ دفعت إليه فوالله لا طلبه أحد في أيامي ساعيًا علي فعاش. ثم أمر به فنحى وأدخل بيتًا حيال بركة السباع فعرفنا من الغد أنه قتل في ليلته، وأخذ جماعة بسببه فحبسوا؛ منهم المعروف بالزهري، وابن أبي الحناء، وإبراهيم، وغيرهم.

ثم حدثنا الرازي بعد ذلك؛ قال: كان الفرسان الذين رأيتهم بالثريا قد عزموا على الفتك بنا، فلما جاء ابن بدر يشوا فمضوا، فقال واحد منهم لبعض

من كان نذبه لهذا: لقد مددت يدي إلى سيفي مرات لأضربه به؛ يعينني، فقال: فهلا فعلت لعنك الله. وأراد قائل هذا أن يكون وزيراً لابن المنتصر، وهو يريضة لهذا منذ مدة وقد أغناه، ثم قرأ علينا رقعة جاءته من أبي علي بن مقلة: العجب من اتهام الناس إياي بسبب هذا الأمر. وتعجب الرازي من جهل من اتهمه بهذا الأمر، وأقرأنا جوابه إليه يصدقه في قوله، وبأنه ما سمع ما ذكره ولا وقف عليه إلا من رقعة وتَسَكَّنُ منه.

وأمر بطلب أولئك الفرسان نظفر ببعضهم فأمنهم، ووصلهم، وفرق بينهم، وسمع كلام كل واحد منهم مفرداً، فحدثنا أنهم عرفوه كيف جرى الأمر من أوله إلى آخره حتى وقف على صحته، وجعل الرازي يوري عن ذكر الفاعل لهذا إذا حضرت جماعتنا، ويصرح به إذا حضر من يثق به منا، واتصل هذا الخبر بابن رايق فقدم في آخر شهر ربيع الأول، وتلقاه ابنا الرازي، وأظهر أنه قلق لما جرى وخاف أن يسعى في مثله لبعده عن مولاه، وإنما جاء لضيق المال واستحقاق الجند وأن بجكم أقبل إلى واسط فلم يجب الاجتماع معه، ولم يزل يطالب الوزير بالمال وهو يجمعه له، وأخذت في هذا الوقت من الرازي آنية ذهب وفضة فضربت.

وأنفذ ابن رايق إلى بجكم من المال ما قدر عليه وزوج لوزير الفضل بن جعفر ابنه بابنة ابن رايق، وزوج أبا بكر بن طنجج بابنة له أخرى، وكانت الوليمة في ذلك الوقت، وخطب القاضي عمر بن محمد بحضرة الخليفة للجميع خطبة واحدة، وكان مهر أبي بكر بن طنجج ثلاثين ألف دينار، ومهر ابن رايق نصفها وعزم الوزير على الخروج إلى الشام، واستخلاف أبي بكر عبد الله بن علي النَّقْرِي على العرض وإمضاء الأمور بالحضرة، فخرج لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر، وهجم بعقب خروجه على أبي عبد الله بن عبدوس وطولب بهال عظيم. ثم تقرر أمره على خمسة عشر ألف دينار أخذت منه

بألوف، منها جارية مغنية كانت له، وترك له من أجلها الباقي.

وقبل هذا بمديدة ما اشترى ابن رايق من ابنة عبد الله ابن حمدون جارية زوجة محمد بن عبد الله ابن حمدون جارية مغنية يقال لها شرين بأربعة عشر ألف دينار، فاستعظم الناس ذلك، وتسلمت الجارية، وحمل المال من عند أبي الحسن البريدي، وحملت هي إلى واسط. وطولب محمد بن يحيى بن شيرزاد بهال فحمل اثني عشر ألف دينار. وقبض على أبي إسحاق القراريطي واتهم بأنه تضمن أبا عبد الله الكوفي وابني مقاتل بهال عظيم، فسلم إلى أحمد بن علي الكوفي فجرى عليه من المكروه ما لم يجر مثله على أحد، حتى ظن الناس أنه تلف.

وغضب الرازي على جليسه محمد بن عبد الله بن حمدون أبي جعفر واتهمه بكلام بعض خدمه، وما كان لذلك أصل كما ظنه، وأمر ألا يوصل إليه، فاختلت نوبتنا وكنا أربعة به فبقي إسحاق بن المعتمد والعروزي وأنا، ثم حدثنا بأنه فعل به ذلك لانتهامه إياه بتعريف ابن رايق ما يجري في مجلسه بسبب الجارية المشتراة منهم، وأنها سبب الوصلة بينهم، وكان يبلغه أن ابن حمدون يعاشر ابن رايق إذا خرجت نوبته.

وكان انحراف الرازي عن ابن رايق في هذا الوقت يتبين في طرفه وقوالب لفظه، ثم صرح بذلك لي وللعروزي من بين الناس، فكنا نعتذر لابن حمدون من أمر الخادم الذي كان هو أعلم ببطلانه، ثم نحلف له أنه مثلنا في جميع أموره مأمون السر والعلانية. إلى أن وثق بذلك، وتقرر عنده. وكان ابن رايق قد كلم الرازي في الرضا عنه فلم يجبه، وكتب ابن حمدون إلى الرازي بأبيات يعتذر فيها وهي:

أَطَارَ الْكَرَى عَنِ مُقْلَتِي التَّعْتَبُ وَجَمَعْتُ مَا أَلْقَاهُ وَالْحُزْنَ يَغْرُبُ

وَجُمِلْتُ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا
 وَوَيْسُكَ أَنْ يَدْعُو بِيَوْمٍ مَنِّي
 وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ: الَّذِي دُونَ عِلْمِهِ
 بَرَأَيْتِي بِمَا ظَنَّ إِيَّيَ اقْتَرَفْتُهُ
 فَقُلْتُ كَمَا قَالَ الْمُقَدِّمُ قَوْلُهُ
 بِنَائِي آيَاتِ اللَّغْنِ أَنَّكَ لَمَنِّي
 فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتُهُ
 جَوَى غَيْرَ مَا يُدْعَى لَهُ الْمُتَطَبَّبُ
 سَرِيعًا إِلَى الْأَعْدَاءِ نَاعٍ مُطْرَبُ
 عُلُومِ الْعِبَادِ فَهَوَ أَعْلَى وَأَغْلَبُ
 وَمَلَّ يَغْمُرُ الْإِحْسَانَ حُرًّا قَيْذِبُ
 لِنَقِمِ وَالْأَمْثَالُ تُجْرَى وَتُضْرَبُ
 وَتَلْكَ التِّي أَمْسَمَ مِنْهَا وَأَنْصَبُ
 وَإِنْ تَكُ ذَا عَنَبٍ فَمِثْلُكَ يُغَيَّبُ

وقررت أنا والعروضي في نفس الرازي عند وصول هذه الأبيات أن ابن رايق ليس بالصافي النية لابن حمدون، وعرفنا سبب ذلك فرضي وقال: قولوا له يسأل ابن رايق أن يكلمني في أمره أو يكاتبني فإنه يقبح أن أرضى عنه بغير مسألته بعد أن كلمني في ذلك فأبيت عليه، فكاتبه ابن رايق فأجابه وعاد إلى أمره.

وظن الرازي أن ابن رايق قد اتهمه بتغير، له فدعاه إلى الزبيدية فأكل بين يديه مع ابنه على مائدة كانت عن يمنة الرازي، وأكلنا نحن على مائدة أخرى، عن يساره وجعل يبره بالشيء يرفع من بين يديه، ثم جالسه على النبيذ ومد له بشارته حتى سمع وشرب، وخلع عليه وقت الظهر خلعة وشيئا ثقلة بالذهب ومعمة كذلك، فجلس فيها ساعة. ثم خلع عليه عند العصر وقت انصرافه خلعة أخرى انصرف فيها بعد أن شرب نبيذا كثيرا.

واستكتب بحكم بواسط علي بن خلف في جمادى الأولى. وزاد أمر البرهاري وأصحابه، فكتب إليه ابن رايق رقعة يحدّره فيها وينذرّه فأظهر القبول وتضمن ترك المعاودة.

ورد رسول ملك الروم مع الوزير وقت خروجه بهدايا، وأجيب إلى الفداء وأمر الوزير أن يتم أمره من مال الشام، وحضر الناس الفداء وأخرج الرازي خادمه راغبًا لحضور ذلك.

وتحرك بعض عياري المخرم في أمر السعر، وكلم بقال في سوق الثلاثاء بعض أصحاب ابن رايق في شيء تجاذبا له، فغضب ابن رايق من ذلك وأمر أصحابه فأحرقوا حوانيت كثيرة في سوق الثلاثاء إلى ناحية المخرم، وفعل فعلًا استقبخه الناس وكرهه الرازي وحقدته عليه، وكان هذا في شعبان. وصودر شفيح المقتدري على أربعة آلاف دينار مصادرة ثانية.

وتوفي أبو القاسم الحسن بن روح النوبختي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان. وكان الرازي ربما ذكره بأن الإمامية يحملون إليه الأموال، فردد عنه ونكذب، فيقول لنا: وما في هذا؟ والله لو ددت أن مثله ألقا تحمل الإمامية أموالها إليه فيفقرهم الله ولا أكره غنى هؤلاء من أموالهم.

ومات رجل يعرف بالطبري بدار كعب وخل مالا عظيمًا، وكان له أخ بطبرستان وابن أخ ببغداد فوجه ابن رايق فحمل من داره وحوانيته مالا ومتاعًا كثيرًا، فتكلم الناس في ذلك، ودخل العروضي وهو يلي المواريث وواه الرازي إياها. وكان مرضيًا ثقة فيها فعرفه أمر الرجل فأنكر الرازي ما فعله ابن رايق وأنفذ إليه بما أقلقه فأمره برد جميع ما أخذ إلى موضعه، وظفر بالدلا فحبس في دار ابن رايق ثم أفلت وظفر به بعد مدة وقتل.

وتحدث الناس في شوال بأن رقة ابن مقله جاءت إلى الرازي يتضمن فيها ابن رايق وابني مقاتل بألفي دينار، وأنه يقبض عليهم بحيلة قريبة إذا أمر بغير كلفة، فوجه إليه الرازي: مثل هذا الأمر العظيم، والوقوف على ما يدبر فيه لا يجيء بالرقاع فصر إلي حتى تعرفني الوجه فيه، ويتفق الرأي على ما يعمل به.

فصار إلى ذكي الحاجب ليلاً سرّاً فأعلم الرازي بأمره، فأمر الرازي بحبسه، وفي نفسه عليه أمر ابن المنتصر، وأنه الذي ررضه للخلافة.

وكتب الخصبي من وقته رقعة إلى ابن رايق يعلمه أن ابن مقله عند الرازي، وأنه قد تضمن به وبابن مقاتل وأنه يستوزره، فركب ابن رايق مع قواده وجيشه إلى الدار، وقال: لا أبرح إلا تسليم ابن مقله إلى. فأخرج فقطعت يده اليمنى، وانصرف ورد إلى محبسه بعد أن ناشده الله ألا يفعل ذلك، وأن يتقيه إلى حيث رأى، فأبى إلا الفعل القبيح، الذي لم يأت أحد مثله.

ونودي في جانبي بغداد بأن السلطان قد رضي عن بني البريدي وأسبابهم، وأطلق ابن رايق لبناء دورهم.

وبلغ ابن رايق أن بجكم يصعد إلى بغداد لطلب أرزا أصحابه وكان قدم قبله الترجمان في المطالبة بالمال، فلم يرجع بها أحب فخرج مصاعداً. فخرق ابن رايق نهر ديالى، وفعل أفعالاً كانت سبباً لبثق النهروان الذي خربت به الدنيا، وافتقر الناس وغلت الأسعار إلى وقتنا هذا، وصار إلى الدار فضرب خيمة في الحلبة وأسكنها قواده.

ووافى بجكم نهر دِيَالِي^(١) يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة. وحاربه ابن رايق فاحتال بجكم إلى أن عبّر بعض أصحابه، وانهمز ابن رايق وأصحابه وجاء إلى السلطان ليدخل إليه، فغلقت الأبواب دونه فصار إلى داره فحمل ما قدر عليه، وخرج ومعه بدر الخرشني، وصاح الناس: هذا عقاب من الله لك، لاستكتابك الكوفي وتسليطك إياه على الناس. وكان قد استكته، وعزل به الحسين بن علي بن العباس التوبختي بعد أن بلغه المنزلة

(١) رسم في الأصل في المرة الأولى: ريالى، وفي هذه بيالى متصلة.

التي بلغها برأيه وتدبيره وهو الذي احتال على الساجية ودبر أمر الحجرية فصار ابن رايق إلى أوأنا ثم خفي أثره. وكاتب السلطان بدرًا الخرشني فرجع. واستتر الكوفي وابنا مقاتل ببغداد.

ووصل بجكم إلى الرازي يوم الثلاثاء وخلع عليه يوم الخميس سبع خلع، وقال له: قد جعلتك أميرًا. وعقد له لواء له، فقال: يا مولاي ما أريد إلا أن تراح علتي في أرزاق أصحابي وقت استحقاقهم، ونزل في دار مؤنس. وأخذ لابن رايق ابن صغير فجربه إلى بجكم فبكى حين رآه وأجرى عليه جراية واسعة، ونودي إن من دل على الكوفي وابني مقاتل فله عشرة آلاف درهم، ومن وجد واحد منهم عنده فقد حل دمه وماله.

وعقد لبجكم على المشرق وأشير على الرازي أن يضم إلى حاجبه جيشًا من جيش الحضرة وقوادهم، وأن يفرد ما لهم عن مال أصحاب بجكم، وأن يوجهوا بكتاب الجيش ليحصوا أصحاب بجكم، ويحصلوا مبلغ ما لهم ويعرفوا الرازي حتى يثبتته عنده ولا يزيد أحد فيه شيئًا إلا بإذن منه، فما قبل الرازي ذلك إلا في أمر حاجبه ولا في جيش بجكم، فما مضى لبجكم شهران^(١) حتى زاد أصحابه وزاد فيهم من أثبت بعشرين ألف دينار في السنة وأكثر، وجرى أمره على ذلك إلى أن قتل.

وكان هذا مما عتب على الرازي إغفاله وظفر بالكوفي فحمل إلى الدار، حمله غلام لذكي الحاجب يقال له خير، فرجمته العامة وأرادوا قتله، فدفع خير عنه، وقال: تذهبون بهال السلطان فوصل به إلى الدار بعد تعب شديد، وصور على مال وشملته عناية ابن سنكلا. وما رأيت أحدًا قط ملك من

(١) في الأصل: فما مضى لبجكم شهرين.

حسب رأي صاحبه ما ملكه ابن سنكلا من الرازي.

وقد علم الله عز وجل أني ما قصرت في تقرير الكوفي عند الرازي وتعريفه كفايته وأمانته، وأنه بخلاف ما عليه العمال من التصون والاجتراء بالقليل، مما رأيته في ولايته، بعد أن كان محسناً إلى معنيائي، عرف لي ذلك على طول الجوار وقديم المودة. وأخذ بجكم من مضحك كان لابن رايق يعرف بأبي الخير خمسة عشر ألف دينار. ووصل أصحاب البريدين إلى واسط، وقرب القرامطة منهم على وفاق وأمر عقده بينهم، ومات أبو طالب الكاتب وكان محدثاً يروي عن أبي موسى الرازي، وأحمد بن يحيى السوسي، وتوفي يوم الجمعة للنصف من ذي الحجة ومولده سنة سبع وثلاثين ومائتين. ووجدت أم ابن رايق فصدورت على عشرة آلاف دينار.

وكان ابن القشوري أحمد بواسط حين زال عنها إقبال، فورد كتابه يزعم أن البريدين يريدون واسط فوجه إليه بأبي نصر الترجمان في جماعة. ووجد يهودي مع مسلمة وكان غلاماً لجهنم يهودي لابن خلف فضربه صاحب الشرطة بحضرة اليهودي في يوم جمعة، فافتن البلد لذلك وكان الأمر قبيحاً.

سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

خرج الرازي بالله في سحر يوم الثلاثاء لثلاث خلون من المحرم يريد سر من رأى ليشخص منها إلى الموصل لمحاربة الحسن بن عبد الله، وخرج بجكم في هذا اليوم وخرجنا مع الرازي فكان بجكم ينزل بين يديه بقليل، وتبعه أهل عسكره بالناس وتأذى الرازي بذلك، وكان قبل خروجه يذكر أمره ونهوضه ويقول: لا بد لي منه. فنشير عليه ألا يفعل ذلك، وكان ممن يوافقني على الرأي في تركه الخروج عمر بن محمد القاضي فلم يلتفت إلى قول أحد ولا أظهر ما أراده وما عزم عليه. وأمر الرازي أن يكون عبد الله بن علي البغوني

خليفة الوزير الفضل بن جعفر خارجاً معه وأن يكون عبيد الله بن محمد الكلوزاني خليفة الوزير على الأعمال والأموال مقيماً ببغداد.

وأخرج أحمد بن علي الكوفي إلى تربة أم المقتدر ليؤذي ما فورق عليه. وكرهت العامة خروج السلطان إلى الموصل لمحبتهم للحسن بن عبد الله وعنايته بإنفاذ الدقيق إليهم ولبره بالأشراف وما يتصدق على الضعفاء بسر من رأى وبغداد، ولكفاية أخيه على الناس أمر الثغور والغزو، وعنايته بغزو الصائفة وغيرها.

وخرج القاضي عمر بن محمد الرازي واستخلف ابنه يوسف ابن عمر على بغداد مكانه. فركب إلى جامع الشرقي ف قضى وقرأ السجلات وركب معه جميع العدول، وحضر محمد بن بدر الشراي صاحب الشرطة مجلسه ونثر عليه دراهم ودنانير في غير موضع، فوصل الرازي إلى سر من رأى وأنفق في أصحاب بجكم نفائس منيفة كان أعدها لنفسه ولهوه، وظن الناس أنه سيقم بسر من رأى وينفذ بجكم إلى الموصل فإن احتاج إليه لحق به وإلا أقام بمكانه، وجعل كل من يصل إليه يشير عليه بذلك.

وورد عليه الخبر بتحريك أمر ابن رايق وأنه يكاتب الناس للوثوب ببغداد، فظننا مع ذلك أنه لا يبرح، وانطلقت الألسن لأجل ذلك بالمشورة عليه ألا يبرح من سر من رأى وكان أشد الناس كراهة لخروجه ورحيله القاضي عمر بن محمد وذكي الحاجب، فكنا نجتمع على ما نقوله. وورد كتب الحسن بن عبد الله وإلى الرازي وإلى بجكم يتضمن لهما أكثر مما ظن أنه يبذله له وكتبه بذلك متصلة إلى القاضي وهو يتولى إيصالها عنه وينفذ الجواب، وكان يقرئني كل شيء يرد، فأقام الرازي أياماً بسر من رأى وطمعنا في رجوعه، واتفقت مع القاضي على أن يكلم الرازي كل واحد منا إذا خلا به ورأى وجهاً للكلام، فوصلت إليه بسر من رأى يوماً وحدي قبل أن يحضر أهل نوبتي، فقلت يا أمير

المؤمنين إن العبد المتفق لا يملك كتمان ما بقلبه لمولاه، ولا يدخر النصيح، وما على المولى شيء من أن يسمع قول عبده، فإن كان صواباً أمضاه، وإن كان خطأ جعله بمنزلة ما لم يسمعه. فضحك وقال: هات ما عندك، فقلت: إن الناس يتحدثون بأن العنكر الذي رحلت لتزيه أشبه بعساكر الإسلام من العسكر الذي تقصده به من قوم لا يرون طاعتك وأشبه بعساكر آبائك. وقد تحدثوا بأن الحسن قد بذل أكثر مما أريد منه فإن رأي سيدنا أن يقبل هذا ويرجع إلى دار ملكه ويزول ما يخافه من وثوب ابن رايق فإنه غير مأمون.

وكان الرازي قد أمر بأن ينادى على ابن رايق، ويطلب فكبست مواضع كثيرة - ومع هذا فإن الحسن بن عبد الله قد نظر إلى أقرب الناس من قبلك وهو قاضيك فجعله السفير له، والضامن عنه وإنه يلقاه فيتصرف بجميع ما يريد.

وها هنا أيضاً أمر آخر، قال: وما هو؟ قلت: إذا ينس الحسن من قبول سيدنا لما بذل لم نأمن أن يصرف أمره إلى غيره، ويلقى نفسه عليه ويتقرب إليه، ويحظيه ببعض ما بذله، فيجعله صنيعه له ومادة لدهره وعدة لجذته ويكلم من يلقي نفسه عليه سيدنا في أمره ويسأله له ما يريد فيقبل قوله ويهب له أمره، فيحظى بما أردنا أن نحظى به - أعرض بيجكم - فما رأيت أطل الفكر عند شيء سمعه أكثر مما أطله بعقب قولي هذا، وذكي واقف وحده يسمع بعض ما يجري.

ثم قلت: أما النثر فقد قضيت الحق فيه، وقد نظمت قصيدة إن أذن سيدنا أنشدته إياها، وهي في هذا المعنى فقال هات فأنشدته - وكان يقول إني سأسكن سر من رأى وأترك بغداد، وجعل يصور بيده ما يكتبه - فذكرت أيضاً مدح بغداد وأنشدته.

مُتَمِّمٌ مُثَلِّفٌ تَأْتِيهِ تَأْتِيهِ
طَالَ عَلَيْهِ مَدَى الصُّدُورِ فَتَا
قَدْ كَتَبَ الْحُبُّ بِالسَّقَامِ لَهُ
أَوْزُدَهُ الْحَنَفَ مَا رَدَّ غَنِيحُ
يَكْأَدُ مِنْ لَيْبِهِ وَرِقَّتِهِ
قَدْ أَزْتَدَتْ بِالْجَمَالِ جُمَّلُهُ
خَلِيفَةٌ أَكْمَلَتْ فَضَائِلُهُ
تَعَبَّدَ الْمَجْدَ فَهُوَ يَمْلِكُهُ
قَدْ رَضِيَ الرَّاضِي الْإِلَهَ لِإِضْ
فَهُوَ بِتَقْوِيضِهِ الْأُمُورَ إِلَى اللَّهِ
أَمَا تَرَى مَا كَفَّاهُ مِنْ حَظَرٍ
لَا يَبْلُغُ الْفِكْرُ كَشْفَ غَمَّتِهِ
وَهُوَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مُتَكَبِّلٌ
وَلَنْ يُضِيحَ الْإِلَهَ مُلْتَحِجًا
يَسِيلُ رَأْيَا كَالسَّيْفِ وَقَفَّتُهُ
تَمَسُّكَ فِيهِ بِالْوَفَاءِ وَمَا
كَفَّابَهُ اللَّهُ تَسْتَطِيفُ بِهِ
أَوْحَدَهُ اللَّهُ فِي فَضَائِلِهِ
جَرَى عَلَى الصُّنْعِ وَالسَّعَادَةِ وَالْ

بِأَنَّ لَيْبِيْنَ الْهُوَى تَجَلَّدُهُ
يُصِرُّهُ مِنْ ضَنَاةٍ عُوْدُهُ
نَظَّمَهُ بِمَنْ أَتَى يُفَنِّدُهُ
زَادَ عَلَى حُسْنِهِ تَمَرُّدُهُ
تَحَلَّى لِحُظَيْتِي وَتَعَفُّدُهُ
كَمَا ارْتَدَى بِالنَّدَى مُحَمَّدُهُ
فَقَرَعَهُ طَبِّبٌ وَخَيَّرَهُ
طَارِقُهُ عِنْدَهُ وَمُنَالِدُهُ
بِلَاحِ زَمَانٍ سَوَاهُ مُفْسِدُهُ
بِهِ يَحْسِنُ التَّوْفِيقَ يَعْضُدُهُ
غَنَائِرُهُ مُعْجِزٌ وَمُنْجِدُهُ
يَعْمُومُ فِي حَايِرَةٍ تُرَدِّدُهُ
بِشُكْرٍ إِخْسَانَهُ وَبِحَمَّةِ
إِلَيْهِ فِي الْخُطْبِ بَلَّ مُؤَيَّدُهُ
وَيَخْتَوِي سَيْفَهُ وَنُغْمَدُهُ
تَقْضُرُ عَمَّا يُرِيدُهُ يَدُهُ
تُنَجِّسُ أَعْدَاءَهُ وَتُسْعِدُهُ
فَهُوَ مِنْ بَدءِ الْكَمَالِ أَوْجَدُهُ
يُنْزِلُ لَهُ سَيْرُهُ وَمَقْصَدُهُ

جِيؤُثْبُهُ حَوْلَهُ كَمَا حَدَّثَتْ
يَسُوسُهُمْ بِالسَّدَادِ حَاجِبُهُ
كَأَنَّهُ مِنْهُ لَيْسَ يَبْعُدُ أَنْ
لَيَكْنِيَهُ فَأَيُّتُ بِهِمْ نِيَهُ
وَأَيَّنَ مِنْ زَاخِرِ الْعَبَابِ صَرِي
أَرَى ذِكِّيَ إِذْ كُنْتَ خَنَاوِطِرُهُ
سَيِّفٌ عَلَى مَنْ عَصَاكَ مُتَقِدٌ
يَا خَيْرَ مَنْ لَأَذُو الرَّجَاءِ بِهِ
وَمَنْ يَفُوتُ الْمَنَى تَطَوُّلُهُ
أَمْوَالُهُ نَحُونَا مُوجَّهَةٌ
يُعَلَى لَنَا الْحَنَّاكَ وَالْمَحَلُّ بِهِ
لَوْ جَازَ أَنْ يَعْبُدَ الْعِبَادَ سِوَى الْ
عَبْدِكَ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ نَيْتَهُ
يَسْأَلُ أَنْ يَسْتَبِينَ سَابِغُهُ ال
وَمُؤَيَّرُ الْحَقِّينِ لِلدَّمَاءِ فَقَدْ
مُسْتَيْقِنَا نِعْمَةَ الْمَطْبِيعِ لَهُ
يَقْبَلُ فِيهِ ضَمَانٌ مَوْعِدِهِ
إِنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى فِيهِ عَجَلًا
فَكُلُّ وَقْتٍ لَهُ شَرِيطَتُهُ

بِالْبَدْرِ بِدْرِ السَّمَامِ أَسْمَعُهُ
وَهُوَ بَارَائِيهِ يُسَدِّدُهُ
يُشَبِّهُ مَوْئِي فِي الْعِزِّ أَعْبُدُهُ
كَمَا يَقُوتُ الْهِلَالَ قَرَقَدُهُ
يُخْفِي إِذَا جَاشَ فِيهِ مُزِيدُهُ
فَلَمَّ يَحْنُ فَهَمَهُ مُتَلَبِّدُهُ
تُطْفِئُ لِي بِهِ طُغْيَانَهُ وَتُغْمِدُهُ
وَأَخِيرَ مَنْ بِالنَّوَالِ يَزِيدُهُ
وَيَقْتَضِيهِ الْإِنْجَارَ مَوْعِدُهُ
بِنَائِي لِي لَا تُحْتَثُّ وَرْدُهُ
فَلَا سُؤَالَ لَهُ نُرَدُّدُهُ
خَالِقِي كُنَّا لِلْبِرِّ نَعْبُدُهُ
لَمْ يَنْتَقِضْ سَاعَةٌ تَسْوَدُّدُهُ
رَأَى يَفِيكُنْ لِي يُجِدُّدُهُ
تَأَقَّتْ إِلَيْهِ لِلْعَيْنِ سُرْدُهُ
يَحْمِلُ مَا فِي الضَّمَانِ يَغْفِدُهُ
فَلَيْسَ يُخْشَى مِنْهُ نَزِيدُهُ
يَهْدِيهِ لِلرَّأْيِ فِيهِ أَرْشِدُهُ
يُضَلِّدُهُ هَذَا مَا ذَاكَ يُورِدُهُ

قَدْ يَسْمَعُ الْبُيُوتَ بِالسَّمْعِ وَلَا
 فِي كُلِّ صُفْعٍ مِنَ الْبِلَادِ لَطْفِي
 فَإِنْ نَجَا بَعْضُهَا بِمَقْصِدِهِ
 وَكُلُّهُمْ إِنْ أَقَامَ فِي يَدِهِ
 يَطْلُبُ هَذَا مَا ذَاكَ يَطْلُبُهُ
 قَدْ يَسْتَجِيبُ السُّؤَالَ دَا عَنَتِ
 وَيُضِيحُ الْمُخْلِيقَ الْوَلَاءَ لَهُ
 بَعْدَ دُجْحِ الْمُلُوكِ تُؤْمِنُهُمْ
 وَأَهْلُهُنَا فِي الْخَطُوبِ جَيْشُهُمْ
 فَأَيْنَ لَا أَيْبَنَ مِثْلَهَا بَلَدًا
 فَلَا تُرْدُ غَيْرَهَا بِهَا بَلَدًا
 وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى
 فَإِنَّهُ أَغْلَمُ الْمُلُوكِ بِمَا

فقال نعم أنظر في هذا إن شاء الله.

واستؤذن للقاضي فخرجت فلقيته وحدثته بما جرى وقال أنا أؤكد لهذا،
 فدخل فأطال ثم خرج فقال ما في هذا الرجل حيلة استمع مني كما قلت في
 نحو معنك فلما خرجت الساعة تقدم إلي ذكي بأن تقدم النوبة ليرحل نحو
 تكريت. ورحل من غد يومنا لك وصرنا في مرحلتين إلى تكريت، فنزل دور
 بني جابر النصراني وأقام أيامًا، والأخبار واردة من بغداد بقوة أمر ابن رايق
 وكتب الحسن بن عبد الله متواترة بإزاحة العلة في جميع ما يراود منه.

فحدثنا الرازي بالله أنه سمع الديالم في المنزل الذي رحل منه إلى تكريت - وقد مر قوم منهم خلف مضربه فصاح بهم الخدم - يتكلمون بكلام قبيح، وقال أما لهؤلاء دين ولا عليهم طاعة؟ وجرى ذكر ابن رايق وقوة أمره، فغمزني ذكي الحاجب في كلامه وظننت أنه بما سمع من الديالم قد فش عزمه، فقلت: يا أمير المؤمنين، بغداد دار المملكة ووطن الخلافة وفتقها لا يتلافى. فقال: إنما كانت بغداد كذا حيث كان في بيت المال بها عشرة آلاف ألف دينار في أيام المعتضد، وضعف لها في أيام الكتفي، فأما ولا مال بها فهي كسائر البلدان، فقلت فيها ما هو أجل من المال، الأمران بلغ الله سيدنا ما يأمله في نفسه وفيها، وفيها حرم الخلافة وذخائرهن. وأعانني العروضي بكلمة فصاح عليه فسكت، ثم أقبل علي فقال: يا هذا كم تنصحنى في هذا الأمر وما استنصحتك، وتشير علي وما استشرتك؟! فقلت: خطأ والله من عبدك وفرط إشفاق، لا أعود لشيء من هذا أبداً.

وقمت إلى ذكي فقلت له أومات إلي بالقول فنالني ما رأيت، فقال لي ما بالصواب أن يعيد أحد في هذا شيئاً. وكانت نوبتنا هي النوبة التي تصل إليه ونأنس بها ويديم إعطاءها والإحسان إليها، ونوبة بني المنجم مجفوة لا يصلون إليه إلا في المدة البعيدة، فلما سار في الماء يريد تكريت سرنا نحن على الظهر وطلبنا فلم نجدنا.

وسار بنو المنجم في الماء وتعرضوا له فجلسوا معه، فكايدنا بهم وساواهم بنا، وقال: السفر لا نوبة فيه لقوم دون قوم، وجعلوا إذا خلوا يشعثون حال من قبروا على ذكره منا عنده وهو يطلع بعض ذلك لنا، حضرنا وغابوا، يغري بعضنا ببعض ووصلهم سراً ولم يصلنا، فأجمع أصحابنا علي أن أعمل شعراً في ذلك، فأوصلت إليه رقعة فيها - وكان أعطاهم خمسة دنانير لكل واحد في كل دينار عشرة دنانير -:

يَا مُذِيقِي غُصَّةَ الْكَمَدِ
أَلِذْنِي كَانَ هَجْرُكَ لِي
جِئْتِ أَرْزَمْتِ الرَّجِيلَ ضُحَى
مَا أَبَالِي مَا يَفُوتُ إِذَا
قُلَّ لِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
الَّذِي يَرْضَى الْإِلَهَ بِهِ
حَاسِدِي فِي حُسْنِ فِعْلِكَ بِي
قَدْ دَهَنْتِي الْآنَ دَاهِبَةٌ
أَنْتَ يَا أَعْلَى الْمُلُوكِ يَدَا
تَوَيْبِي قَدْ ذَلَّ جَانِبُهَا
ضَعَّفَ الْحَرَمَانُ قُوَّتَهَا
لَا تُطِيعُ فِينَا الْوُشَاةَ فَقَدْ
جِئْتِ قَارِزُوا دُونَتَا بِيَدِ
وَرَأَيْنَاهَا مُعَايِنَةٌ
بَعْدَ أَنْ كُنَّا بِفَضْلِكَ فِي
فَأَيْنُنَا مَا أَنْلَتْهُمْ
أَوْ فَرِذْنَا مِنْهُ لَعَادَتِنَا
عِنْدَنَا مِنْ فِعْلِهِمْ تِرَّةٌ
لَمْ تَزَلْ بِالْبَسْلِ تَبْدَأُنَا

مُشْعَلًا لِلنَّارِ فِي كَيْدِي
أَوْ دَلَالِ الْغُنْجِ وَالغَيْدِ
أَرْزَمْتِ رُوحِي عَنِ الْجَسَدِ
ظَفَرْتِ بِالْوَضَلِ مِنْكَ بِيَدِي
لَا أَحَاسِي فِيهِ مِنْ أَحَدِ
مُذْهِبًا لِلْفَيْي بِالرَّشْدِ
عَبْرٌ مَعْدُولٌ عَلَى الْحَسَدِ
وَسَمُّهَا بَاقٍ عَلَى الْأَبْدِ
عُنْدِي فِيهَا وَمُعْتَمِدِي
يَبْحُ مِنْهَا النَّوْمُ بِالشُّهْدِ
بَعْدَ حُسْنِ الْأَيْدِ وَالْجَلْدِ
جَعَلُونَا ضُخْخَكَةَ الْبَلْدِ
مِنْكَ وَاسْتَوَلُوا عَلَى الْأَمْدِ
إِنَّ هَذَا مُنْتَهَى الْكَمَدِ
طَيْبِ عَيْشِ دُونَهُمْ رَعْدِ
خَمْسَةٌ تُسَوِّفِي عَلَى الْعَدْدِ
لَيْسَ غَمْرُ الْجُودِ كَالثَّمَدِ
فَأَزِلْهَا الْيَوْمَ بِالْقَوْدِ
فَاجْعَلْنَهَا الْآنَ دُونَ غَدِ

وَأَيُّكُمْ إِنْ شِئْتُمْ مُكْتَسِمًا إِنَّمَا مِنْهُمْ عَلَى رَصَدٍ
وَأَزَلْ تَخْرُسًا بِرُؤُوسِهِمْ طَالَمَا مِنْهُمْ بِمُفْتَةٍ
وَعَلَىٰ نِيهِمْ لَا عَلَيْكَ بِهِمْ دَابِرَاتُ السُّوءِ وَالنَّكَدِ

فما عوضنا بشيء وأقام على كياهه لنا، وأقام أيامًا بتكريرت، ثم رحل منها يريد الموصل، فنزل منزلاً على أربعة فراسخ، واستهل هلال صفر، ودخل بجكم قبل ذلك إلى الموصل، ووافى الخبر بظهور ابن رايق يوم الأربعاء لليلتين أو ثلاث خلون من صفر وأنه دخل إلى بغداد كأنه لم يكن بها من ناحية باب قطربل ومعه ألف من القرامطة فيهم رافع كانوا في عسكر الرازي، فاستحقوا فلم يعطوا وأبطئ في أمرهم، وكان بجكم لا يجب كونهم مع الخليفة في جملة حاجبه، فانصرفوا إلى بغداد فكانوا سبب ظهور ابن رايق، وقصد داره فلم يصل إليها، فخرج إلى المصلى وكان مستتراً في دار كاتبه السر من رأي^(١) ونادى مناديه أنه قد زاد الفرسان اللاحقين به خمسة دنانير كل واحد منهم، وأنه يطلق لهم عاجلاً رزقه كاملة ويزيد الرجالة ديناراً ديناراً، ويطلق لهم نوبتين معجلتين، ويكون ذلك بلا نقصان ولا مصارفة.

ووافى جعفر بن ورقاء، فنزل في الحلبه في دار الخليفة، ونزل معه أحمد بن خاقان، وضبط أحمد بن بدر الشرايى البلد جهده وكانت إليه الشرطة، وأعطت أم الرازي مالا أنفق في رجاله وفرسانه وقصد أصحاب ابن رايق دار بجكم على دجلة فمنع عنها أصحاب كان لهم فيها، ثم انهزموا وخرجوا هارين يريدون سر من رأي، وسلموا الدار فنهبت وأحرقت، وتحدث الناس بأن ابن مقاتل حمل إلى ابن رايق مالا فأعطى الفرسان كل واحد منهم خمسة دنانير صلة

(١) كذا في الأصل، والصحواب: السرمرى

وهي الزيادة، وأعطى الرجال دينارًا دينارًا، وجاء إلى دار السلطان فقوتل عنها وقتل من الفريقين جماعة.

وانصرف ابن رايق إلى المصلى واستأمن قوم من البجكية فيهم يارخ وصيغون فأحسن إليهما، وتبع أصحاب ابن رايق من كان في دار بجكم ورئيسهم تكينك فأخذوا منهم دواب وتفرقوا، وجاء خبر محمد بن ينال الترجمان ومعه جماعة كانوا بواسط بأن يقصد بغداد فوافاها واجتمع مع ابن بدر الشراي وحاربه ابن رايق وأصاب ابن بدر ضربات، وحمل إلى منزله وذلك لثمان ليال خلت من صفر، فمات في منزله بعد ثلاث.

وملك ابن رايق بغداد، وظهر ابن مقاتل وحمل إلى ابن رايق مالا فأعطى القرامطة رزقة كاملة بزيادة خمسة دنانير لكل واحد منهم، ودخل إلى داره المعروفة بدار مؤنس فأقام فيها ووجه إلى دار الخليفة وإلى أم الراضي فسكن منهم، وقال لهم كونوا على أمركم. ونهبت دار علي بن خلف بن طياب في الجانب الغربي بقرب الجسر ودار أخ له وأخذ منها مال ومتاع ووجد لبجكم مال فأخذ وانحاز ابن ورقاء، وقصد الموصل بعد أن قاتل أشد قتال، وما أبلى أحد بلاهه وبلاء ابن بدر الشراي، ونادى ابن رايق بأمان البجكية وولى شرطة بغداد ابن يزداد قائدًا من قواده.

وفرض قومًا من العيارين فأعطاهم دينارًا دينارًا وجاءه ساجية وحجرية فقبلهم ووعدهم ما أحبوا، ووجه إلى أبي القاسم الكلوزاني فأخذ منه مالا كان قد جمعه للسلطان، وملك العيارون البلد، وكتب لابن رايق في هذه الحال أبو غالب كاتب صافي الخازن وعلى جيشه ابن القلانسي. وطلب أبا العباس الأصهباني فاستتر، وكان ابنه ظاهرًا بين يدي ابن رايق، وخلع على صيغون ويارج وركبا في شارع الجانب الشرقي حتى رأهم الناس وبين أيديهم بدور دارهم على أكتاف الرجال، ووجه إلى دار السلطان فأخذ ما وجد من الخزائن.

ووصل محمد بن ينال الترجمان إلى النهروان ومعه أحمد بن نصر القشوري، ومياتنكول، وإبراهيم بن خلف بن طياب، وعبد الله الشيرازي، ومؤنس غلام هنكر في خلق عظيم، فتوجه إليهم ابن رايق فواقعهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر، ثم حجز الليل بينهم، وحاربهم يوم الاثنين لتسع بقين منه، فظفر بهم وغنم هو وأصحابه غنيمة عظيمة من الدواب والحلي والمال والأمتعة، وكان ابن رايق قد رأى كثرتهم فزال طمعه في مقاومتهم فدس إليهم جماعة من القرامطة وواطأهم على أن يستأمنوا إليهم فإذا واقعهم صيخوا بهم من عسكرهم فكان هذا سبب الهزيمة وقتل مياتنكول وأصاب أحمد بن القشوري ضربة في وجهه وجيء به أسيراً إلى ابن رايق فمّن عليه.

وأسر مؤنس الهنكري فهجنه ابن رايق وشتمه فعدا عليه بعض القرامطة فقتله وهرب الترجمان فلم يعرف له خبر حتى وافى الموصل على حالة قبيحة، وكان بجكم يظن أنه قتل فوجه إليه بما لبس وبدواب حتى دخل الموصل، ونادى ابن رايق بعد الواقعة ببراءة الذمة ممن آوى الترجمان، أو ابن خلف بن طياب أو عبد الله الشيرازي.

ودخل البريدي إلى واسط في هذا الوقت، وعظم أمر العيارين ببغداد، وأخذوا ثياب الناس من المساجد والطرقات إلى أن ركب ابن يزداد وأخذ جماعة منهم فضربهم بالسياط. ووجد لبجكم عشر بدر دنانير في درب الزعفران فأخذت، ووافى فاتك صاحب ابن رايق في جيش فدخل من باب الأنبار في تعبئة حسنة، وذلك في يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ودخل معه لؤلؤ غلام المتهشم، وعلى أعلامه لؤلؤ الرائقي، ولما ظن ابن رايق وجاءه فاتك، وصر إليه مال بجكم الذي ذكرناه أفكر في الأموال العظام وكاتب في أمر الخلافة جماعة، ووجه إلى الحسن والحسين ابني الفضل بن المأمون فأخذهما إلى داره وقدر مال البيعة فإذا هو على التقليل ثمانمائة ألف

دينار، فقال له ابن مقاتل: نحن لا نملك عدد هذه دراهم، فكيف نحتالها دنائير؟ فرد ابني المأمون منازلها وأضرب عن هذا الرأي.

ووجه محمد بن يحيى بن شيرزاد إلى الموصل في أشياء أرادها فوصل إلى الرازي بالله وإلى بجكم ووجه الرازي بالله القاضي عمر بن محمد برسالة إلى ابن رايق ولزمه وكان يخلو به وبابن مقاتل وربما حضر ابن سنكلا، وألزم ابن مقاتل الأمر، وقال: إن السلطان يعلم أن هذا يتصرف برأيك ومتى أعنتني على أمر الصلح وقع لك ذلك أجمل موقع. فاتفق الرأي على خروج ابن رايق إلى الشام واليًا عليها. فاقتصر على من أراد من أصحابه وأخرج مضربه، وكان من استغنى عنه ابن رايق لحق بالبريدي مثل جنى الحمداني وجماعة قواد وفرسان، وخرج ابن رايق عن بغداد يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر، وركب بشري الأثرم غلام الرازي بالله، وكان أنفذه الرازي معه لشرطة بغداد إذا رحل ابن رايق عنها، فنادى في الذعار وأخذ جماعة من العيارين وطاف في الجانبين فسكن البلد بعد افتتان عظيم.

وأظهر القاضي كتابًا ورد عليه من السلطان وأمر بأن يقرأه عدوله في مجالسهم بأن السلطان لم يؤخذ أحدًا من أهل بغداد بشيء مما جرى، وأنه إذا ورد أحسن إليهم كل الإحسان ولم يطلق يد بجكم عليهم، وأمر أن لا يتبع أحد ولا يعنت فسكن الناس إلى ذلك وسروا به.

(رجعنا إلى أمر الرازي بالله رحيله، من تكريت ونزوله على أربعة فراسخ).

ووافي الخبر بظهور ابن رايق وقصده الدار، وكان الرازي في طيار، وقد طلبنا وما وصلنا إليه بعد ورود هذا الخبر، فجاء القاضي وابتدأ يكلمه ويشير عليه بالتوقف والنظر في الرجوع فأسبل غشاء الطيار بينه وبينه، وأمره

بالانصراف فانصرف، ودعا بذكي حاجبه وقال: أنا أغير إلى الجانب الغربي الساعة فاعبر بدواي ودوابك ومن تبعك من الغلمان فإني أركب البر حتى ألتق بالموصل، وليس الناس في الماء، ويكون الذي يسير بهم ويحفظهم سعيد بن حفيف السمرقندي، ويشاور القاضي في جميع ما يفعله.

وعبر من وقته وعبر ذكي وجماعة من الغلمان والفرسان، فحدثنا هو لما وصلنا إليه إلى الموصل أنهم كانوا كلهم نحو خمسين ومائة وأن الهيبة حرسه بعد حفظ الله من أن يتخطف وأنه جاع في الطريق ويم يجد ما يأكل، وأن خيرًا غلام ذكي الحاجب كان ربما طبخ له القدر والقدرين فياكلها إلى أن وافى الموصل في أربعة أيام وقد ماتت الدواب وهلك أكثر من كان معه، فنزل دار الحسن ابن عبد الله، وسار سعيد بن حفيف بالناس وحفظهم أحسن حفظ، على أنه ليس معه أحد ولا له معين، وكان بنفسه وغلماه وغلما من معه في الزوارق يمنع الأعراب والزواقل، ويجرس الناس بنفسه ولا ينام الليل، ويأمر بإيقاد النار وضرب الدبادب إلى أن يصبح.

وكننا نسير في سفننا لصعوبة الطريق الفرسخين في اليوم وأقل وأكثر، وكنت أنا مع ابن حمدون في زورق وكان معه طيار ومعي سميرية بأربعة مجاذيف فغلط أصحاب السميريات ليلاً، فربطوا على بعد من العسكر وكبسهم القياقة وأخذوا جميع ما كان في السميريات ولم يبق لي شيء كان في سميريتي إلا ذهب، ثم دخل بعد ذلك الماء إلى زورقنا حتى كاد يغوص وسقطنا إلى الماء، فمن الله علينا بأن رجاله كانوا معنا في الزورق وحملوني وحملوا ابن حمدون حتى صرنا إلى الشط، وانتظرنا الطيار حتى جاءوا به وأخذ ما في الزورق ومد إلى الشط حتى أصلح، وكان قد انتقب في عدة مواضع.

ووافى راغب خادم الرازي بالله من الثغر، وكان قد شهد الفداء إلى الموصل، فوجه به الرازي فلقينا بين الحديثة والسن فسلمنا عليه وكانت معه

دواب فحمل القاضي عليها لأن الراضي أمره بذلك وأراد أن يتقدم وصوله وتبعه من كان له مركوب، وبقينا نحن أيامًا كثيرة إلى أن وصلنا إلى الموصل، ودخلنا إلى الراضي بعد عشرين يومًا من مفارقتنا إياه، وكان في نفسي ما قاله الراضي حين أنشدته قصيدتي الضادية وقت جلوسه: هذه حمتك رميت بها. وأردت أن أعمل قصيدة أشكو فيها غرقنا وما نالنا فقلت والله لأجعلنها ضادية ليعلم أن تلك لم تكن حمتي، وأنه قد بقيت لي قصيدة وأنا في الزورق مع ابن همدون، نحو تلك القصيدة في الطول وهي:

أَبْغَضْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا بُدِلَ الرَّضَا، هَذَا تَجَنُّنٌ مِنْ حَيِّبٍ يُرْتَضَى
لَا تَجْرَعَنْ لِلْبُعْدِ تَوْعَدُهُ غَدًا، فَاللَّهُ يُضَرِّفُهُ بِمَا فِيهِ قَضَا
ظَلِمَ الْحَيِّبُ فَأَظْلَمَ الْبَيْتُ الَّذِي، أَمَّتٌ مَطَايَاهُ بِهِ ذَاتِ الْأَصَا
قَدْ قَالَ بَشَارٌ وَكَانَ مُسَدِّدًا، يَحْوِي الْمَعَالِي إِنْ رَمَى أَوْ أَنْبَضَا
قَدْ دُقْتُ أَلْفَتَهُ وَدُقْتُ فِرَاقَهُ، فَوَجَدْتُ ذَا عَسَلًا وَذَا جَمْرَ الْغَضَا
خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا صَفَا لَكَ قَلْمًا، يُغْنِيكَ غُفْمُكَ بِالتَّكْدِيرِ إِذَا مَضَا
وَاضِرٌّ عَلَى غَرَقٍ بِنِعْمَى نَلْتَهَا، إِنَّ الزَّمَانَ لَمُقْتَضٍ مَا أَقْرَضَا
فَهَوَيْتَ فِي لُجِّ عَالَاكِ عِبَابُهُ، لَا بُدَّ أَنْ تَلْقَى الَّذِي لَكَ قُبُضَا
إِنْ قُمْتَ فِيهِ لَمْ تَطْلُغْهُ لِغُرُوبِهِ، وَرَأَيْتَ نَحْتَ الرَّجْلِ مِنْهُ مُدْحَضَا
وَتَسْرَعَتْ مِنْهُ إِلَيْكَ جِجَارَةٌ، تَنْدُرُ الصَّحِيحَ مِنَ الْعِظَامِ مُرَضَضَا
وَكَسَاكَ مِنْ يَدِهِ وَلَمْ تَسْتَكْسِبِهِ، عَشْرًا يُؤَلِّفُهُ الْمُدُودُ وَعِزْمَضَا
نَجَّاكَ مَنْ نَجَّأَ بِلُطْفٍ يُؤْنَسَا، مِنْهُ وَكَانَ لِقَبْضِ رُوحِكَ مَعْرِضَا
هَذَا وَقَدْ تَلَّمَّ الزَّوَائِلَ جَانِبِي، فَأَنْضَتْ دَمْعًا عِنْدَ ذَلِكَ مُغَيِّضَا

أَبْكِي كِسَاءَ كَانِ أَوْثَقَ عُدَّتِي
 وَمِحْدَةَ قَدْ كَبَانَ بِأَلْفٍ لِيْنَهَا
 وَنَفِيسَ فَرَشٍ كَالرِّيَاضِ نُفُوشُ
 وَجَمْعًا قَدْ كُنْتُ أَجْمَعُ آلَةَ
 وَالصُّفْرَ أَبْكِي كَالنُّضَارِ وَشَمْعَةَ
 صَرَّخْتُ بِالشُّكُوفِ إِلَيْكَ تَأْتِسَا
 فَلَأَنْتَ أَعْلَى فِي المُلُوكِ مَحَلَّةُ
 مِنْ بَعْدِ مَا غَالَ المُنْشِبُ شَيْبِي
 وَأَحَارِي مَرَضًا وَأَوْهَنَ قُوِّي
 وَإِذَا دَنْتَ سَبْعُونَ مِنْ مُتَأَمِّلٍ
 وَجَفَاهُ نَوْمٌ كَانَ يَأْلَفُ جَفْنَهُ
 وَإِذَا بَلَّغْتُ إِلَى الأَمَامِ مُسَلِّمًا
 وَنَسِيتُ رَوْعَاتِ لِإِزْجَافِ فَنَسَا
 ذَادَتْ مَوَارِدُهُ الكَّسْرَى عَنِ مُقَلَّتِي
 فَعَلِي نَسْرٌ إِنْ رَأَيْتُكَ سَالِمًا
 بِمُحَمَّدٍ رَضِي الإِلَهَ خَلِيفَةَ
 جَاءَتْهُ طَوْعًا لَمْ يُسَيِّرْ لَفْظُهُ
 فَهُوَ الحَقِيقُ بِهَا المَعَانِ بِقُوَّةِ
 اللهُ أَقْبَلَ لِي بِوَجْهِهِ نَوَالِسِهِ
 إِنَّ أَحْصَرَ البَرْدُ العِظَامَ وَنَقَضًا
 خَدِّي فَأَضْحَى الجِسْمُ مِنْهَا مُرَضًا
 مَا كَانَ مِنْ دُونِ الرِّيَاشِ مُرَحَضًا
 فِيهِ وَكَانَ مِنَ السَّبَلَاءِ مُفَضَضًا
 زَانَتْ يَدُ المَائِي بِهَا وَالمِقْبَضَا
 بِنَدِي يَسْدِيكَ إِذَا غَرِيبٌ عَرَضَا
 وَأَجَلُّ مَنْ رَاشُ العَيْبِدِ وَأَنْهَضَا
 وَتَضَالِيَسَ تَجْمَلِي فِيمَا تَضَا
 فَفَدَوْتُ مِنْهُ وَقَدْ صَحِجْتُ مُرَضًا
 دَانِي وَلَمْ يَرَفِي اللِّذَادَةَ مَرَكَضَا
 قَدَمَا وَأَضْحَى لِلحُثُوفِ مُعَرَضَا
 وَرَأَيْتُهُ زَالَ التَّجْوُوفُ وَانْقَضَى
 مَا زَلْتُ لِلإِسْفَاقِ فِيهِ مُرَضَا
 وَأَبَى عَلَيَّ جِدَارَهُ أَنْ أُغْمَضَا
 صَوْمٌ وَعِثْقٌ عَاجِلٌ لَا يُقْتَضَى
 فِي الأَرْضِ فَهُوَ بِذَلِكَ رَاضٍ مُرَضَى
 فِيهَا وَلَا أَضْحَى لَهَا مُتَعَرَضَا
 فِيهَا بِحُكْمِ فَاصِلٍ لَنْ يُدْحَضَا
 فَرَقَضْتُ وَجْهَ الدَّهْرِ لَمَّا أَعْرَضَا

بَذرُ يُضِيءُ دُجَى الظُّلَامِ وَلَمْ يَرْزَلْ
يَكُرُ الزَّمَانَ فَلَيْسَ يُنْتَجِجُ مِثْلُهُ
عَالِيِ الْمُحَلِّ بْنِ لَهُ أَبَاؤُهُ
مَنْ شَامَ عِرْكَ ذَلْ دُونَ مَتَالِهِ
أَحْسَنَتْ حَتَّى مَا تَرَى مُتَسَخِّطًا
كَمْ مُبْفِضٍ حُطَّتْ إِلَيْكَ رِكَابُهُ
بِعُلُوٍّ فَخَسِرَكَ فِي الْمَقَاخِرِ يُعْتَلَى
وَجَلِيلِ خُطْبٍ عَبَّ مِنْكَ عَزِيمَةٌ
وَمَضَتْ بُرُوقٌ فِي الْعِرَاقِ فَأَخْلَبَتْ
قَرْعٌ أَرْدَقًا فَمَا عَدَّتْ أَخْلَافُهُ
وَتَدَاعَبَتْ بِذَوِي الضَّلَالَةِ هَبْوَةٌ
وَسَيَكْشِفُ الْمُهَبَّاتِ رَبُّكَ نِقْمَةً
سَرَى الْقِيَامَ بِهِ فَعُودًا عَاجِلًا
وَتَصِيحٌ مِنْ عَمْرَاتِهِ مَنْ لَمْ يَرْزَلْ
وَتَعُودُ سَاعٍ فِي الْجَهَالَةِ عَائِرًا
وَتَبْرَى غَوِيٌّ رُشْدُهُ فَيُثِيمُ مَا
وَيَقُلُّ غَرْبَ جُمُوعِهِمْ لَكَ حَاسِمٌ
وُذِيْقُهُمْ جُنْرَعُ الْمَنَابِيَا بِجَكَمٍ
سَيْفُ الْخِلَافَةِ وَالْبِيرُ عَدُوَّهَا

لِسَوَادٍ مَا تَجْنِي الْخُطُوبُ مُبِيضًا
أَبَدًا وَلَا يُلْفِي بِهِ مُتَمَخِّضًا
شَرَفًا أَبَتْ أَرْكَانُهُ أَنْ يُنْقَضَا
أُورَامَ مَا رَفَعَتْ مِنْهُ تَخْفِضَا
يَشْكُو الزَّمَانَ وَلَا نَرَى لَكَ مُبْفِضًا
نَالَ الْغِنَى عَجَلًا فَأَغْنَى الْمُبْفِضَا
وَيُنُورُ هَذِيكَ فِي الدِّيَانَةِ يُسْتَضَا
فَأَتَى إِلَيْكَ بِمَا هَوَيْتَ مُقَوِّضَا
وَرَأَيْتَ بُرُوقَكَ صَادِقًا إِذْ أَوْمَضَا
عَرَسًا وَلَا هُوَ بِالْجُمَائِلِ رُوِّضَا
أَبَقَتْ لَهُمْ أَسْفًا وَخَوْقًا مُمْرِضَا
تَدَعُ الْبِنَاءَ مِنَ الضَّلَالِ مُقَوِّضَا
فَرِعَا وَيَرْجِعُ سَاكِنًا مَنْ حَرَضَا
فِيهَا قَضَيْتَ مِنَ الْأُمُورِ مُمْرِضَا
لَا يَسْتَطِيعُ مِنَ النَّدَامَةِ مَتَهَضَا
قَدْ كَانَ مِنْ نَعَمِ الضَّلَالَةِ رَبِّضَا
مِنْ جَيْشِ رَأْيِكَ كَالسَّهَامِ الْمُتَضَى
وَكَذَلِكَ عَادَةٌ بِجَكَمٍ فِيمَا مَضَى
بِسَيِّدِ عَزْمٍ صَائِبٍ إِنْ أَعْرَضَا

أَنحَى عَلَيْهِم بِالسُّيُوفِ فَخَلَّتْهُمْ
 دَلَفَ الرَّجَالِ إِلَيْهِمْ فَكَانَ مَا
 فَعَمَوْتَ عَنِ طَلَبِ لَهُمْ فَتَبَسَّطُوا
 كَيْفَ التَّوَرُطِ فِي ظَلَمِ ضَلَالَةٍ
 يَا وَاحِدَ الْكَرَمِ الَّذِي تَلَقَى بِهِ
 خُذْهَا إِلَيْكَ قَوَائِمًا قَدْ لُبَّتْ
 كَانَتْ مُجَمَّعَةَ الظُّهُورِ نَوَافِرًا
 لَفْظًا أَيْقَانًا لِلْقُلُوبِ مُحْيِيًا
 مِنْ شِعْرِ مَقْصُورِ الْمَدَى مُتْكَلِّفٍ
 وَكَانَتْهُ تَقْلَافُ فِرَاقٍ أَجَبَةٍ
 بَلْ مُرْسَلًا طَبَعًا فَيَسِيحًا ذَرْعُهُ
 وَإِذَا أَمَالَ إِلَيْهِ سَمْعًا صَاعِدَتْ
 أَحْذَاكُهُ مَنْ لَا يَزَالُ ضَمِيرُهُ
 أَفْنَى الزَّمَانِ بِخِدْمَةِ لَكَ أَمَلًا
 وَمَدَائِحِ سَبَقَتْ إِلَيْكَ بِأَمْرِهَا
 مَا شَرَّفَتْهُ خِدْمَةُ لَكَ قَبْلَهَا
 وَأَصَابَ مُرْعَى فِي فَنَائِكَ مُرْعَا
 إِذْ سَيْفُ عَزْمِكَ كَامِنٌ فِي جَفْنِهِ
 هَذَا سَوَابِقُ لَا يُمْتُ بِمِثْلِهَا

لِتَأْتِرِ الْأَعْضَاءِ حَضْبَاءَ الْقَضَا
 كَانُوا نِسَاءً حِينَ دُمُوا حَيْضًا
 ثِقَّةً وَكَانَ نَجَاؤُهُمْ مُتَقَيِّضًا
 وَالصُّبْحُ فِي سُبُلِ الْهِدَايَةِ قَدْ أَضَا
 وَجْهَ الزَّمَانِ إِذَا تَسَوَّدَ أَيْضًا
 رَفِيمًا أَبِي تَحْسِبْتُهُ أَنْ يُرْفَضَا
 فَأَتَيْتُكَ لَيْسَةَ الْمَقَادَةَ رَيْضًا
 لَمْ يُلْفِ وَقَرَّ فِي الْمَسَامِعِ مُبْتَغَضَا
 إِنَّ رَامَ نَهْجًا فِي طَرِيقِي أَدْجَضَا
 نَادَى بِهِ دَاعِي الثَّمَاتِ وَحَضَّضَا
 قَدْ شَفَّ ذَا الْبَاعِ الْقَصِيرِ وَأَرْمَضَا
 أَنْفَاسُهُ أَسْفًا عَلَيْهِ وَأَبْغَضَا
 عَمَّا كَرِهْتَ مِنَ الْمَذَاهِبِ مُعْرَضَا
 مَا نَلْتَهُ فَأَنْلَهُ غَايَاتِ الرِّضَا
 بِأَيْتِكَ قَائِلُهَا بِهَا مُتَعَرِّضَا
 حَتَّى مَلَكَتْ قَدَسَهُنَّ مُعَرِّضَا
 فَأَحْلَلْ فِيهِ بِالْحُطُوطِ وَالْأَمْرَضَا
 أَرْجُو أَنْتِضَاكَ لَهُ وَلَمَّا يُتَضَى
 مَنْ قَدْ أَتَى خَلْفَ السُّكَيْتِ مُرْكَضَا

قَأَفَذْ وَعَوَّضْ مَادِحَالِكَ رَاجِيَا فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَقَالَ وَعَوَّضَا

فلما أنشدته إياها قال: صدقت يا صولي قد بقيت لك حمات، وهذه الضادية أفحل كلامًا من تلك، وتلك أنعم لفظًا وكلاتهما في نهاية الجودة. فقلت: أنا والله يعلم سيدنا بالشعر أحترس إذا مدحته. فضحك.

وأقمنا أيامًا بالموصل وبجكم قد كان واقع الحسن بن عبد الله فهزمه ثم رجع بجكم إلى الموصل، ووقع بين أصحابه وبين أهل الموصل حرب فقتل جماعة من التجار ونهبوا، فكان من بجكم وأصحابه أمر قبيح عظيم حتى وجه إليه الرازي في ذلك فأمر أصحابه أن يكفوا، وطولب علي بن خلف بن طياب بالأموال الذي ضمنها فما قدر إلا على الشيء اليسير الودح، فوجه إلى قرى بعيدة فيحمل حنطة وشعيرًا ويعز عليه من يشتره. وكان الطالقاني صاحب بجكم، ويكنى أبا حامد في يد الحسن بن عبد الله فأطلقه وفارقه على أن يصلح الأمر بينه وبين بجكم ففعل ذلك، وكان بينهم ما غمض على الرازي فلم يعلم حقيقته.

وكلتم بجكم الرازي في الحسن بن عبد الله أن يقبل الضريبة التي عليه ويرحل إلى بغداد، فقال له إني قد اتفقت مذ غرمت على الحركة إلى وقتي هذا مائة ألف دينار. وأخذ ابن رايق مثلها من بغداد فلم يزل يسأله إلى أن أجابه. وكان الرازي بالله وصل الجلساء ولم يصلني، لما في قلبه علي من تكلف المشورة. وعزم على الرحيل فمنعته الإضاقه، ثم فورق على مال يسير قدره لنفقته إلى بغداد، على أنه يجيء من عند الحسن بن عبد الله، فرحل عن الموصل وأقام على نحو فرسخين منها ينتظر المال، واستبان الصواب فيما كان أشير عليه به، وضاق بمقامه ذرعًا.

وكان في حراقة يدخل إليه فيها، فأمر راغبًا الخادم أن يدخلني إليه مفردًا

قبل وقت مجيء الجلساء، فأوصلني إليه فقال لي: كأني بك، وقد قلت في نفسك إنني خطوت الرأي، وتركت الصواب. فقلت: والله ما دار لي هذا بفكر، ولقد شغلني الغم عن ذلك حتى أرى سيدنا في دار ملكه مداوماً لسروره على عادته، فقال: أما كنت حدثتني أن يحيى بن خالد البرمكي، قال: لا أحمد نفسي على رأي ابتدأته بخطأ فآل إلى صواب؛ لأنني بالخطأ ابتدأته ولا علم لي بمآله، وكذلك لا أذمها على رأي ابتدأته بصواب فآل إلى خطأ فأنا كذلك ابتدأت أمري بصواب ولا أعلم المغيب. فقلت يوفق الله أمير المؤمنين ويعوضه وبيقيه.

فقال الراغب ادفع إلى الصولي ما كان قبضه أصحابه ولم يقبضه، وزده مائة دينار، فأعطاني ألف درهم ومائتي دينار. وكان قبل أن يرحل من الموصل طلبني وقت الظهر فدخلت إليه، وكان قيد على كتاب بما كان من أمر ابن رايق مع ابني المأمون، وكتب إنني ذكي كتاب مثله، ووردت كتب الناس بذلك.

وكان الرجال المصافية يطالبون بأرزاقهم فأخروا فغضبوا وصاحوا: قد مضى القرامطة ففازوا بابن رايق، ونمضي نحن فنأخذ بيعة ابن المأمون. إلى أن وجه الحاجب فردهم، وضمن لهم ما أرادوه فقال لي الرازي حين دخلت إليه: هناك يا صولي قد أجلس جارك ابن المأمون خليفة، وميل بين الاثنين فاختراروا الكبير، والله لأطمعن الطير لحمهما، وذكي الحاجب يسمع ذلك وخدم قيام، فقلت: لا أحياني الله إلى أن أرى مكان سيدنا غيره، وما أبعد هذا يا سيدي في نفسي، أ يصلح للخلافة من خاب سبعين سنة، ومع هذا فوالله ما يحسنان شيئاً ولا يفهمانه، فلما سمع قولي هذا ضحك منه، فلما ضحك انبسطت في الكلام، فقلت: أعداء هؤلاء كثير والتشيع عليهم عظيم، ولعل هذا شنع أعدائهم عليهم. فرمى إلي بفصل من كتاب قد ذكر ما قاله فيه.

ودخل محمد بن حمدون ونحن في ذاك فأعاد عليه القول فسلك في الكلام طريقتي، وما زلنا نكلمه حتى سكن. وخرجت فقال لي ذكي الحاجب أحسن

الله جزاءك، هل ورد عليك كتاب بما قاله سيدنا؟ قلت: نعم. قال: وقد ورد علي مثله، فأعطاني كتابه ودفعت إليه كتابي فرمى بهما في دجلة. وجاءت الدراهم التي وعد بها الرازي، ففرقها ورحل نحو بغداد لا يلوي على شيء، حتى دخل بغداد لثمان خلون من شهر ربيع الآخر ولقي الناس شدة في الطريق، وغرق خلق من أصحاب بجكم من باب يعرف بباب الهاشمي. وكان الناس يقولون: نالتهم عقوبة بطلبهم أهل الموصل. وكان دخول الخليفة في الماء يوم السبت، حتى انتهى إلى داره ونزل بجكم دار مؤنس. وورد من الحسن بن عبد الله مال من مال المفارقة، حمل إلى خزانة بجكم.

وكان فيما خاطبني به الرازي في حجته من خروجه أن قال نظرت فإذا الدنيا لا تفي برزق جند بجكم ومئوتني، وأن هذه المستخلصة التي في يدي أحتاج أن أتم منها مال أصحابه، فقلت نصير إلى الموصل وهي الناحية العامرة، وأكثرها ضياع آل حمدان فأقبضها كلها وأنفرد بأولئك وأجعلها لبجكم وأصحابه وهي كفاية وفاضلة عنهم، ويخلص لي مال ضياعي فأوسع على الناس منه وأعطي من حرمت، وأجعل في بيت المال شيئاً يرجع الناس إليه.

فقلت: له إن هذه الناحية إنما عمرت بعناية ابن حمدان بها، ونزولهم فيها، ولو قد صارت إلى غيرهم لعادت خراباً كما عادت فارس بعد عمرو ابن الليث، وأصبهان ونواحيها بعد أبي دلف. ولما قدم الرازي بغداد أمر فتودي في جانبها براءة الذمة من جندي تعدى على عامي، وكذلك إن تعدى عامي على جندي فسكن الناس، وورد كتاب الحسن بن عبد الله على بجكم يخبره بأن ابن طياب كاتبه أخذ من الأموال بالموصل نحو ألف دينار سراً وجهراً، فقبض بجكم على كاتبه علي بن خلف وعلى أخيه، واستكتب أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد.

وكانت لبجكم دعوة عظيمة دعني فيها القواد، وأوقد فيها نيراناً عظيمة في يوم السبت لأيام بقين من شهر ربيع الآخر، وذلك في الصحراء التي أسفل النجمي على دكة كان بناها هناك، وميدان أصلحه، قطع فيه نخل الناس وأخذ أملاكهم وذلك في وقت كان الفرس يصنعون فيه مثل هذا لدخول بهمن ماه وذهاب الشتاء.

وخلع على ذكي الحاجب وعلى ابن ورقاء وعلى ابن جعفر الخياط وابن خاقان، ووصلهم وفعل بأصحابه مثل ذلك، وأنفق فيها مالا عظيماً وتكلم بجكم في أمر محمد بن القاسم الكرخي فظهر.

وقطع أبو جعفر بن شيرزاد أمر بني طياب على ألف ألف درهم. وقبض بجكم على لؤلؤ وكاتبه ابن سمعون وابن أعجى خليفته، كان على الشرطة، وقال له أتدخل بغداد بأعلام عليها لؤلؤ الرايقي؟ واتخذ بجكم دار ابن رايق ميداناً يقصده في كل جمعة وثلاثاء. وسفروا في الصلح مع بني البريدي على أن ابن شيرزاد يسفر فيه فقدم كاتبه طازاد إلى واسط.

وضبط بشرى الأثرم الشرطة ضبطاً حسناً، وماتت أم موسى الهاشمية في شهر ربيع الأول، ومات جماعة من المحدثين منهم الأدمي المقرئ بحرف حمزة في جامع المدينة وكان زاهداً. ومنهم علي بن العباس الهروي.

ثم كثر عبث العامة وكبسوا الحمامات، وأخذوا ثياب الناس وكذلك صنعوا جنازة وغلت الأسعار.

وولي أبو الحسين بن ميمون أزمة الدواوين، وأطلق البازعجي في غرة جمادى الأولى، ففورق عن مال يؤديه عن لؤلؤ.

ومات أبو محمد يزداد بن محمد بن يزداد الكاتب - وكان قد حدث عن أبي سعيد الأشج والزبير بن بكار - يوم النصف من جمادى الأولى.

وقبض الرازي على عبد الصمد بن المكتفي، وحمله إلى داره واتهمه بمكاتبة ابن رايق في البيعة له وقت ظهوره ببغداد.

واتصل النداء برضاء السلطان عن البريديين، ووردت الكتب بموت الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر يوم الأحد، لثمان ليل خلون من جمادى الأولى، وأنه دفن في دار له بالرملة، وخرج القاضي والترجمان إلى بني البريدي في جمادى الآخرة، ووقع بين يدي الرازي أملاك لأبي الحسن بن عبد الله بابنة لبجكم صغيرة، وأنفذ بجكم بعقب هذا هدية عظيمة الخطر فيها خمسون ثوبًا من فاخر الفرش والديباج، ومثلها من الخبز عشرة مراكب على عشرة أفراس. وجاءت من الحسن هدية إلى بجكم تزيد على هذا، وعجل بجكم على رجل كان في داره من وجوه قواده فقتله ليلاً، ثم أصبح نادماً مغموماً وخبثت قلوب أصحابه لذلك، وورد الخبر بأن البريديين دخلوا الأهواز بحرب الديلم وهزيمة لهم.

وعاد القاضي والترجمان إلى بغداد، ونفذ راغب خادم الرازي بالخلع على أبي عبد الله البريدي للوزارة يوم الثلاثاء، لسبع خلون من رجب على أن يخلفه ببغداد أبو بكر النفري، وكان الكتاب نفذ إلى ابن أبي الفتح الوزير بأن يدبر ما كان يدبره أبوه بعد اسم الوزارة.

وورد الخبر بأن ابن رايق رجع إلى الرقة فقبض على خزائن لابن حنزابة فوصل إليه منها ما قيمته خمسمائة ألف دينار. وخلع على الترجمان، لعشر بقين من رجب لولاية الجبل، وخرج إلى مضره بصحراء ثلاثة أبواب وعقد له لواء.

وسمعت راغبًا الخادم يقول إن أبا عبد الله البريدي امتنع من الوزارة وقال: لو سست بعض دواب الخليفة لشرفت بذلك، فكيف بكتبته! ولكني

بعيد عنه، ولا يحسن لي أثر عنده، لغلبة من قد غلب على الأمر، وأخاف أن ينسبني إلى عجز وتقصير. فإن أمنت هذا منه فأنا عبده يفعل بي ما شاء. فرجع إلى الرازي فأخبره بهذا من قوله. فرده إليه بأن يعذره، فلبس الخلع وركب فيها، ووصل راغبًا ومن معه بهال عظيم.

وقدم راغب فحدث الرازي بما جرى، وهو يدور في داره ونحن معه، فأقبل الرازي علينا كالأنف من طرحه الوزارة على من يشترط فيها! فقال لنا -وتكلم بأحسن كلام وأصوبه في معناه-: إن الوزارة قطعة من الخلافة، ووهنها وهن الخلافة، وكنت استكتبت الفضل بن جعفر، وكان كاتبًا من بيت كتبة، وكان نائبًا عني، فحسن أثره عندي في جميع ما فعله، ولم تنله مهنة من أصحاب بجكم تضع من الوزارة ومنه، فلما توفي نظرت إلى من بالحضرة فإذا هم من قد عرفت، وإن عقلت هذا الاسم بواحد منهم لما مضى عليه أسبوع حتى يسأل ما لا يقدر عليه، ويمتهن كل الامتهان.

فنظرت إلى أرفع من أعلمه في الزمان ممن يسلم من هذا ويبعد عنه، فلم أجد غير ابن البريدي، فاستكتبته لهذه العلة، وليبقى اسم الوزارة على حال صيانة ورفعة فدعونا له وقلنا: والله يا سيدنا ما سمعنا كلامًا أوضح بيانًا، ولا أفلج حجة! وتتابعت هدايا الناس إلى الوزير ابن البريدي. ونالت بجكم علة صعبة، ووافت الأخبار بأن الديلمي وافي واسط، فنزل الجانب الشرقي، وأن البريديين عبروا إلى الجانب الغربي. وكتب يستنجد بجكم، فخرج الرازي وبجكم على علته نحو واسط يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان ولم يخرج بجكم معه أحدًا من الديلمية، خوفًا من أن يستأمنوا. ورجع الترجمان إلى بغداد، وأقام الرازي بالزعفرانية، ولحق به بجكم وهو عليل. وتعرض الحنبلية لمن قصد الحلي للنصف من شعبان، فنودي فيهم: أنهم متى عرضوا لهم عوقبوا أشد معاقبة، فكفوا.

وكان ابن إسماعيل بن أحمد قد ولي شرطة بغداد قبل هذا الوقت بشهر وأيام، فركب ووقع بين الحنبلية والضرايين والنخاسين قتال فأعان على الحنبلية. ورجع السلطان إلى بغداد لليلتين بقيتا من شعبان، لم اتصل به أن الديلمي قد رجع إلى الأهواز. ورجع بجكم وابن شيرزاد إلى بغداد يوم السبت لثمان ليال خلون من شهر رمضان. ومات البخاري خليفة البرهاري في شهر رمضان. وكبست منازل ولد أبي العباس بن الفرات، لسعاية غلام لهم بأن عندهم خزانة لابن رايق، وكذب، كانت خزائن لهم، فأخذ جميع ما ملكوه. وكبس ابن الصالح وأخوه؛ لأنها اتهمها بالسعاية في كتبة بجكم، فصدوا على مائة ألف درهم. وضرب بجكم دنانير وحشة، وحمل عليها حملاً كثيراً.

وطلب ابن إسماعيل بن أحمد، صاحب شرطة بغداد البرهاري فاستتر. وقطع الأكراد على قافلة جاءت من خراسان في النصف من شوال، فأخذوا منها مالاً عظيماً، وورد ابن حاتم والحاج من خراسان، فمنعهم بجكم من الحج خوفاً عليهم من القرامطة وكثر التخليط في أمر النقد ودار الضرب، وكان الدلاء صاحب البرهاري قد فر من الحبس في دار بجكم، فوجد وآل أمره إلى أن قتل.

ومات أبو الوليد بن حمدان في ذي القعدة، ثم احتال الحاج في أن خرجوا فجاءهم ابن سنين، فوافقهم على أن يخفروهم، وأخذ من جمل المتاع خمسة دنانير، ومن كل محمل ثلاثة دنانير، ومن كل زاملة ديناراً. وقبض بجكم على سلامة أخي نجاح في غرة ذي الحجة وقطع أمره على خمسين ألف دينار، أخذ منها بستانه بالبردان. وبنى مسجد براثا. وأفتى بعض الفقهاء بنش القبور وتحويلها - التي كان البرهاري وأصحابه أخذوا الناس بالدفن فيه - وأنفق عليه مال وصلي بالناس فيه، وروى فيه جعفر الدقاق عن أبي خليفة حديثاً ما خلق الله له أصلاً.

وكان من أخبار الجلوس بعد رجوع الراضي من الموصل أنه أعاد النوبة كما كانت يومين يومين، أربعة وأربعة، وكان بنو المنجم لا يصلون، وكان أحمد بن يحيى المنجم يحضر كل يوم في نوبته فلا يصل، وفي نوبتنا فيصرف، وربما استحيا الراضي منه، فجلس معنا في نوبتنا، ثم امتدح الراضي بشعر وقال: أنا أريد أن أخدم سيدنا كل يوم، إلا يوم الثلاثاء والجمعة بلا نوبة، وقام فسأل هذا وقبل الأرض، فكان يحيى في كل يوم. فطالبنا الراضي بأن نفعل مثل فعله، فعرفناه أن هذا ما كان مثله قط، وأن الأجسام لا تثبت عليه، وخوفنا أحمد بن يحيى منه، وقلنا له لا ترسم رسمًا يعود ضرره على جماعتنا، فلم يقبل خوفًا من أن لا يصل متى تغير هذا.

وكنا نحضر فنجلس إلى السحر ثم ننصرف فلا يجلس حتى يعود، ويطلب بالأكل والشرب، فما كنا نجلس في مجلس لكثرة عللنا، وكان ذلك سبب فساد مزاج الراضي ونفس الله عنا بشهر رمضان في سنة سبع، فلما جاء شوال عدنا إلى ما كنا فيه، فاعتللت أنا أيامًا كثيرة، ولم يبق منا أحد إلا اعتل، واعتل أحمد بن يحيى علة طالت، ووقع البلاء به كما جناه، فتوفي رحمه الله في ذي القعدة. وأمر الراضي بأن يتصدق بألف دينار من الصراة إلى نهر عيسى لعوز الماء من أجل البتق. فقلت: أو يفعل سيدنا ما هو خير من هذا؟ قال: وما هو؟ قلت: نعم إن جرى على يد واحد من الناس. قال: ومن هو؟ قالت أخشى لومه، قال: قل. قلت: راغب الخادم، هو والله وثق الناس. ويغمه بعده عن الخدمة. فيروج العمل والعمال يرتزقون فيحبون أن يطول الأمر ليأخذوا أرزاقهم، وهذا لا يزيد رزقًا.

فدعاه وأمره أن يضم إلى الألف الدينار ألفي دينار ويخرج، فأطل يده على جميع الناس، فعرف راغب أن هذا من جهتي، فقال لي: أنت عرضتني لهذا؟ قلت: نعم. رأيت الأستاذ يغزو ويحج على غرر، وهذا أفضل من الغزو والحج

والجهاد بعد الفرض، فرضي عني وكان قد غضب. وخرج ففرغ من البثق بعد نيف وخمسين يوماً، وركب الرازي ونحن معه ننتزه بكرخايا، فأعد له القاضي بالصالحية ضيعة، فأكهة كثيرة، وطعاماً واسعاً، على أنه يتغدى فيها، فلم يمرض إليها، وعاد إلى بستان ابن قرابة فتغدى فيه وانصرف من يومه ومعه بجكم، وعمل الجسر الفوقاني بهال أوصى به أبو الوليد من ثلثه، وأوصى بأن يعمل به الجسر.

سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

أنكر بجكم على الترجمان دخوله بلا أمر ورجوع الديلم، فأظهر كتاباً عن تكينك يخبره بأن الأمير أمره بذلك، فكان ذلك مما أنكره الأمير على تكينك وما زال الترجمان ملازماً بيته إلى أن رضي عنه بجكم ووافت الأخبار بمصالحة ابن طنج لابن رايق ووردت الخريطة بتمام الحج، إلا أن الحسيني قطع على قوم منهم، وقد فصلوا من المدينة راجعين. وصلى بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز. وكان صيغون قد طرده ابن رايق ولم يرده، فصار إلى الحسن بن عبد الله، فلم يرض حاله عنده، فصار إلى بغداد يريد بجكم فخرج بجكم إلى النجاشي حتى تلقاه وأقدمه معه.

وكانت ابنت الوزير ابن البريدي مسماة بابن أبي جعفر الكرخي، فزوجها من بجكم بحضرة الرازي، والخطاب القاضي، وابن شيرزاد الولي، وذلك في صفر. وكان ابن شنبوذ محبوساً فمات فوجه به إلى منزله وقد كانوا حذروه في وقت ثم ردوه. وقتل العيار المعروف بالمسلماني وصلب، أخذه رجل يعرف بأبي الحسين التودي فأمسكه وتكاثر العامة عليه.

وولي الترجمان الشرطة، فاستخلف أبا بكر النقيب وقبض بجكم على ابن إسماعيل بن أحمد في شهر ربيع الأول؛ لأنه واطأ جماعة على الفتك ببجكم بعد

أن كان دعاه قبل ذلك إلى منزله حيال قصر عيسى، وجميع قواده، وأنفق مالا عظيماً على الطعام والشراب والحملان للقواد والهدايا حملت مع بجكم وأفراس قيدت معه.

ومات أبو عبد الله بن العلاء الحوزجاني المحدث لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وكان مسنداً يروى عن أبي الأشعث ويوسف القطان وزيد بن أخزم الطائي. وصرف الحسن بن هارون عن الكوفة بأبي بكر البرجمالي. وحول بجكم الحبس السفلاني إلى دار دينار ليعقد هناك جسراً، وبني دكتين ولم يتم ذلك. وأخرج الرازي ابنه إلى داره بالرصافة ليركباً إليه، وبني لهما طيارين كبيرين. واشتد أمر اللصوص وكبسهم الدور ليلاً، بالعدة والعدد، وظفر بجماعة منهم فقتلوا وصلبوا. وصرف لؤلؤ عن طريق الكوفة، وولي مكانه عدل حاجب بجكم. وكان ابن شيرزاد قد خرج إلى واسط في استحاث المال فقدم لثمان ليال بقين من ربيع الأول ومعه السكري صاحب أبي الحسين البريدي بمال وهدايا.

واتصلت الأمطار وزادت دجلة زيادة عظيمة لم يعهد مثلها. وأوقد بجكم بالزبيدية ناراً عظيمة ليلة وبعض يوم، وشرب ودعا القواد، وتحدث الناس بأن السكري صار إلى دار البريديين التي خربت بسوق يحيى، فحفر موضعاً منها، فاستخرج خمسة قماقم فيها دنانير فحدرها معه. وكتب أبو القاسم بن أبي حامد رقعة إلى بجكم تضمن فيها الخليفة وابن سنكلا وجماعة بخمسة آلاف ألف دينار بخطه، فأمر الرازي بضرب عنقه، فشهد له القاضي بفساد العقل، فضرب درراً، وطيف به على جانب بغداد.

وأدخل يالبا لعشر بقين من جمادى الأولى على فانج بنقنق؛ لأنه اتهم بمشايعة ابن إسماعيل على الفتك ببجكم، وكان سبب أخذه أنه كتب - وكان يلي الرحبة - أن ابن رايق يريد فكتب إليه: أنا موجه إليك بمدد، فوجه بعدل.

فقبض عليه، وكبس الصقر بن محمد الكاتب، وطولب بوديعة لبعض القرامطة، فحلف على بطلان ذلك، فسعى رجل بهال له مدفون في داره فأخذ، وكان عشرة آلاف دينار ذخراً له ولولده، فجرى عليه ظلم رثى له منه عدوه وصديقه. وأحضر بجكم يالبا فوبخه وقتله. وتوفي أبو سعيد الاضطخري الفقيه يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، ودفن بمقابر الدير، كان رأساً في حفظ مذهب الشافعي، وحدث، وكان ثقة.

وتوفي بعد يومين أبو الفرج بن جعفر بن حفص الكاتب عن سبعين سنة، وكان من أهل بيت كتبه. وأخرج بجكم الترجمان إلى الجبل ومعه جيش عظيم لأربع خلون من رجب. واتصلت مصادرة الناس فصولاً ورثة أبي جعفر بن حفص على ثلاثة آلاف دينار.

ومات أبو الحسين بن المغيرة الجوهري لتسع بقين من رجب، وقد حدث، وكان ثقة. وأدخل جعفر بن ورقاء مائة نفس ونيقاً من القرامطة من بني سعد من طريق خراسان، فطيف بهم على جمال وحسوا، وقدم رسول القرمطي مع عمر بن يحيى العلوي يطالب بهال عظيم كان أعطاه مثله البريدي في العام الماضي حتى يحج بالناس، وأن يده لا تنال في هذا العام.

ووجه بجكم إلى أبي الحسن الكرخي وأبي عمرو الطبري، فعضرا عنده في ليلة جمعة، فسألها مسألة في النيذ وغير ذلك.

وتوفي القاضي عمر بن محمد ليلة الخميس. ثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان، وكانت سنه تسعاً وثلاثين سنة، وبلغ في العلوم مبلغاً عظيماً مع هذا السن، وكنت أنا كالمربي له، ولا أشك أنه قرأ علي من كتب اللغة والأخبار، وكتبي المصنفة ما يقارب عشرة آلاف ورقة، وكانت له أشعار ملاح وجوابات مني قد أفردت لذلك كتاباً فيه هذه الأشعار، وفيه رسالة عملتها في وصفه

ووصف أبيه، وما تحلف عن جنازته أحد من الأجلء، ووجد الرازي عليه
 وجدًا شديدًا، حتى كان يبكي عليه بحضرتنا، ويصفه ويقول: كنت أضيق
 بالشيء ذرعًا حتى أراه فيوسعه لي برأي يسير يشير به. وكنا ليلة بين يديه
 وستارته تغني فأمرهن بأن يضربن بالعيدان ففعلن. وجعل يبكي حتى خفنا
 عليه، وجعلنا نعزبه ونقول ما يجب أن يقال مثله. فقال: والله لا بقيت بعده.
 وصلى عليه ابنه أبو نصر في داره وغسله أبو بكر بن عبد العزيز الهاشمي.

وولى الرازي ابنه أبا نصر وأبا محمد وخلع عليهما، فمرا في الشارع فجعل
 إلى أبي نصر قضاء بغداد إلى المداين، وولى أبا محمد القضاء من المداين إلى
 البصرة، وصار أبو نصر إلى مسجد الجانب الشرقي في يوم الثلاثاء لليلة بقيت
 من شعبان فقرأ عهده، وحكم بين نفسين وانصرف وكان فيما كلبم به الرازي
 حين ولاه: قد استوفى سيدنا الأنعام وكمله وشيد بآخره أوله، فثبت الله
 وطأته، وأدام دولته. وأريد من أبي نصر مال لبجكم فغرم وباع، ووقف على
 الغدول والأمناء حتى أدى.

وكان النوروز يقع ليومين من شهر رمضان فقدم الخاصة إشعال النار قبل
 دخول رمضان، وأشعل العامة وصبوا الماء. وعزل غانم بن رحمة عن الشرقية
 للنصف من شهر رمضان، وصور على مال. وقلد رجل يعرف بفضل
 فاضطرب الناس وعجبوا لذلك، فعزل وولي رجل يعرف بالقابوس. وهمل
 مع رسول القرمطي مال ليحج الناس.

واتصل ببجكم رجوع الديلم، وأن الترجمان لما بلغه ذلك أقبل يريد
 حلوان، فخرج مبادرًا لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان، حتى لحق
 بالترجمان، وقيل له: إن بينه وبين الديلمة عقبة إن أخذوا مواضع منها لم يصل
 إليهم، وإنه يحتاج أن يأخذ في طريق بعيد حتى تتم له الحيلة، فوافى بغداد على
 الجهازات لخمس خلون من شعبان؛ لأنه اتصل به أن الرازي عليل، وكان

اعتل في هذا الوقت حتى طرح من فيه في يومين وليتين من الدم أربعة عشر رطلاً، وشاهدنا بعض ذلك، وركب يوم الفطر إلى المصلى تكينك وأبو بكر النقيب، وانقطع الدم عن الرازي وصلح قديلاً. وأخرج ابن مقلة ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال ميتاً من دار السلطان، فدفن عند باب القيل، فسأل أهله فيه، فنبش ليلة الجمعة لنصف من شوال وسلم إلى أهله فدفنوه في مقابرهم.

وكان الرازي يقول لنا بالموصل أيام ظهور ابن رايق ببغداد: لو كان ذلك الفاعل حياً الساعة لأجلس خليفة، ولأخذ أموال التجار، فالحمد لله الذي حدث هذا وليس هو في الدنيا - يردد هذا مرات؛ لثلاث نعلم أنه حي في يده، وكذا كان يقول في أمر القاهر، وحدثنا كيف عذب وكيف مات - حتى وجد حياً بعد وفاته، وكثرت الرفايغ إلى بجكم من ظلم أصحابه للناس، فجلس للمظالم يوم الخميس لتسع بقين من شوال وبين يديه ابن شيرزاد فحمد في جميع ما أمر به ونهى عنه.

وورد الخبر بهزيمة ابن طغج لابن رايق حتى صار إلى دمشق. ومات أبو عبد الله المطيعي يوم الأربعاء لأربع بقين من شوال، ومولده سنة ثلاث وثلاثين، وكان مستنداً ثقة. ومات أبو العباس الخصيبي لليلة بقيت من شوال فجأة بلا علة. وجلس بجكم للمظالم لليلتين بقيتا من شوال، ونظر في ثلاثين رقعة، فجرى أمره فيها على سداد. ورجع رسول القرمطي بهدايا لبجكم، فيها فرسان لم ير مثلها، ووفاه بجكم ما في ماله، وأهدى له هدايا. وخرج الحاج فلقحهم عطش، ثم أغاثهم الله بمطر عاشوا به.

واستبطأ السلطان ابن البريدي في حل المال وعزم بجكم على الانحدار، فقالوا: كيف تقاتل من له اسم الوزارة؟! واستحضر سليمان بن الحسن للوزارة، وخلع عليه يوم السبت لثمان بقين من ذي القعدة، ومر في الشارع

وهناك الناس. وخرج بجكم يريد واسط، فوجه بأربعة فيهم رفيق يالبا فطرحوا للسباع في البركة التي بناها بالنجمي، وقبض على ابن عبدوس بسبب غلام له يقال له بديع، كان في جملة البريدي، وعلى أبي الحسن بن سهل لمصاهرته لهم. وكاتب ابن شيرزاد البريدي بالخروج عن واسط، وأشار عليه ألا يجارب ففعل، ودخلها بجكم فخلع على ابن شيرزاد خلعة حسنة، وقلده سيفين، وسر أهل واسط ببجكم، وحدر حرمه إليه. ومات أبو بكر بن الأنباري يوم الأضحى ودفن في داره.

ودخل الترجمان ولؤلؤ غلام التهشم من طريق الجبل، إلى بغداد يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة. وظهر أبو عبد الله الكوفي. وانحدر إلى واسط لسبع ليال بقيت من ذي الحجة، ووافى واسط من المستأمنة من عسكر البريدي ابن صفراء، فقلد يسكن وقطربل، ووافى حجرية، فأنفذوا إلى بغداد وقتل بجكم ابن الشابستي الكاتب، وجد معه كتاب إلى أبي طاهر القاضي فانحدر أبو طاهر، وحلف أنه لا يعرف للكاتب سبباً وتكلم فيه فنجا، وهو أهل ذلك لعلمه وفضله.

واستوحش أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي من القاضي أبي نصر، وأشهد على نفسه ثلاثين عدلاً أنه لا يشهد عنده أبداً، وكان انحرافه عنه أنه اتهمه بميل إلى أخيه أبي محمد، وأنه يسعى له في ولاية بغداد. وأخذ ابن أبي موسى خطوط العدول بتقريظه وتعديله، ولعهدي بأبي عبد الله بن أبي موسى وهو مجتهد ليله ونهاره، في أمر أبي نصر حتى تم له ما أراد، ما أعترته شهادة بذلك؛ ولكنني عرفته مشاهدة ثم إن أبا نصر أحضر العدول فأخذ خطوطهم بأن ابن أبي موسى غير موضع للشهادة وأسقطه.

وقبض على محمد بن القاسم بن سيبا؛ بسبب أن ابن أخته مع البريديين فتكلم فيه وقيل: والله ما ابن أخته بقائد ولا محارب ولا كاتب، وإنما هو

كالمضحك، ومثل هذا لا يؤخذ أحد به، فخلّي، وانحدر أبو محمد بن عمر بن محمد إلى واسط.

واستحضر بجكم يحيى بن سعيد السوسي فأنفذه إلى السلطان يسأله إسعافه بهائتي ألف دينار فوصل ومعه جماعة من الكتاب فأمرهم الرازي أن يعملوا له عملاً من ضياعه المستخلصة بواسط ونواحيها بهذا المقدار ليأخذ ما فيها من غلة، فكان الأمر قريباً فأطلق الرازي ذلك له.

سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

دخل أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد بغداد يوم الأحد لست خلون من المحرم مقبلاً من واسط واستكتب أبا عبد الله الكوفي واستخلفه، ووافى قوم من الموسم فأخبروا بتهم الحج وسلامة الناس.

وخلع على أبي محمد بن أبي الحسن القاضي، لقضاء المدينة لعشر خلون من المحرم، وكان ابن أبي موسى السبب في ذلك وغرم من ماله أربعة آلاف دينار أو نحوها، وهذا والله يدل على علو همته. وانحدر ابن شيرزاد إلى واسط، وكان جاء ليشير بانحدر السلطان فوعد بذلك.

. ومات زيرك الخصي غلام القاهر فدفن في دار اشترت له بالرصافة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم، وكان أحسن الناس خدمة للرازي، وكان له موقع عظيم منه، وأقطعه أقطاعاً؛ منه البستان المعروف بالشقيعي، وأعطاه من المال والطيب والحوهر بمقدار موضعه منه، فاغتم عليه غمّاً عظيماً. فصاعد الخليفة إلى باب الشاسية، فسكن داراً اشترها ابن سنكلا من ورثة اصطفى، وركب فطاف كائنترج من الغم الذي ناله، وكان يقول: مات في مائة يوم قاضي وصاحب رأبي وخادمي الكافي خدمتي، وأمر فصب في دجلة أربعمائة دن للشراب العتيق الذي بقي من أيام المعتضد والمكتفي وكان

لا يشرب إلا منه، فحرص أبو الحسن بن أبي عمرو الشرايبي على ألا يفعل ذلك - وكان مكيناً عنده قريباً من قلبه، لطيف المجل مجزر في كل وقت، كنا أو لم نكن، وربما شاوره وخلا به، وإنه لموضع لذلك عندي - فما قبل ذلك منه، وندم بعد ذلك على صيها.

وما كان والله الراضي ممن يذهب عليه هذا؛ ولكن اضطرب رأيه، وكثر ضجره؛ لفساد مزاجه، وكثرة علله، فكان ستان بن ثابت - وكان قد لزمه، حتى جالسه معنا، وأكل وشرب بين يديه في آخر أيامه - يقول لي إذا رأي أخلاقه متغيرة، ما أحسن قول جالينوس: مزاج الروح تابع لمزاج البدن، وأنا أقرء لهذا باباً إن شاء الله..

وقدم بجكم أبا بكر النقيب إلى الراضي ليخبره بما عزم عليه، ويعفيه من الخروج إليه، فقدم فدخل إلى الراضي ليلة الاثنين، وانحدر الراضي يوم الاثنين لتسع بقيت من المحرم إلى داره.

وجمع بجكم الكتاب ليعملوا أعمالاً للأموال في النواحي، وكانت حيلة منه، فلما اجتمعوا قبض على ابن شيرزاد وعياله، وقبض النقيب يوم الاثنين بحيلة على طازاد وأبي الحسن أخي أبي جعفر وأسبابهما وعلى علي بن هارون الجهيد اليهودي، وكان القبض بواسط وبغداد في وقت واحد.

ودخل الكوفي بغداد غرة صفر للنظر في الأموال، وهو كاتب بجكم، وصور ابن شيرزاد عن نفسه وكتابه وعياله على مائة ألف وخمسين ألف دينار فتسلم ابن سنكلا طازاد، وضمن ما عليه وهو خمسة آلاف دينار. وصور ابن المشرف وابن أخيه ثابت على نيف وعشرين ألف دينار، وعني ابن سنكلا وعلي بن يعقوب بطازاد بالبصرانية، وعرض هذا على بجكم فكرهه وأثقله، وزاد على ابن شيرزاد مائة ألف دينار.

وقبض على أبي بكر الصيرفي صاحب الجيش، وعلى أبي أيوب السمسار وأخذ منها عشرة آلاف دينار، ولم يؤخذ لابن الصيرفي مال، وشهد الناس بثقته فأطلق، وقبض على جعفر بن ورقاء لأيام خلت من صفر فلم يترك له عين ولا ورق ولا دابة ولا مركب ولا فرش ولا آلة إلا بيع في مصادرتة، على أنه يعول مائتي نفس وله معروف وكرم. وأنكر الترجمان على ابن خشيش المحتسب حيلة على جارية في دار ابن بنان الخلال حتى أخذ حلياً وثياباً، وذلك أنه دس من استعار منهم بيتاً وجعل فيه آلابت لضرب الدراهم المعمولة، ثم كبسه فضربه وأطافه على جمل من الجانبين، وكانت قصته فيما فعل قبيحة جداً.

وكتب الكوفي على ابن شيرزاد صكاً بأملاكه لبعثكم، فتسلم ما كان بالقرب منها. وأخذ من علي بن هارون اليهودي بعد عذاب عظيم مائة ألف وعشرة آلاف دينار، ثم قتله ببعثكم بعد ذلك بمديدة، واجتمع للكوفي مال فأنفذه إلى واسط مع الترجمان من المصادرة وغيرها، قيل إنه أربع مائة ألف دينار. وجاءت بنو تميم لكبس الأنبار، فرجع الترجمان إليهم من واسط ففارقهم على أن يثبته لمحاربة البريدي. وقلد لؤلؤ طريق خراسان مكان ابن ورقاء وخلع عليه لثلاث خلون من شهر ربيع الأول، وطالب الكوفي الحسن ابن عبد العزيز بنحو مائتي كر بلغه أنه نقلها قبل موافقة العامل وبيعها، فقاطعه عنها على خمسة آلاف دينار وعزله عن الصلاة وولى مكانه أحمد ابن الفضل بن عبد الملك، وكان حقد عليه أنه أسمعته في أيام ابن رايق وقال له أنت ابن ذكرويه.

انقضت الحوادث إلى غرة ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

وفيه توفي الرازي بالله وأنا أذكر وفاته بعد إتمامي وأذكر مختار شعره. كان الرازي في آخر أيامه قد تغيرت أخلاقه وأفعاله التي ما كان أحد على مثلها في فضله وعقله وكرمه. وأدبه، وما اتهم في ذلك إلا ما قاله لي سنان من علته،

وكان قد تغير لجميع الجلساء حتى ساوى بنا من لم يكن يساوينا عنده، وزاد الأمر حتى فضلهم علينا. وخص عبثه بإسحاق بن المعتمد وبني إلا أن إسحاقاً لثقل سمعه كان لا يسمع أكثر ما يمر، وكنت أنا أسمع ويكثر الخطاب لي، وكنت أحتمل ضرورة، ولما أوجه الله علي وربما أطلعت حجة تغيظه إذا زاد الأمر علي فيغضي عنها لكرمه، لولا أنه كان أحسن الناس وفاء وأتمهم حلماً وكرماً لظننت أنه سيمنعني من الوصول إليه، وكان يمدحني إذا غبت، ولا يفعل ذلك إذا حضرت، ولقد حدثني بعض الخدم أن أحمد بن يحيى المنجم ثلبي يوماً عنده، فقال له: أمسك عن هذا ولا تنظر إلى ما أفعله فإنني أريد بما أجري إليه إصلاحه لي كم أريد. فقال له: فلو قومه سيدي بحجته عنه أياماً؟ فقال: قد هممت بذلك فخفت أن ينسبني الناس إلى قلة وفاء لقد خدتمته لي، ولأنه حبيب إلي الأدب، وسنى لي قول الشعر، وعرفني نقده وتعب معي فيه. ومع ذلك فيقال: إذا حجب مثل الصولي فماله رغبة في الأدب، حدثني بذلك بعض الخدم، قال: فما سمعناه يعيد ذكره عنده.

وكان يقول لي أبو الحسن بن أبي عمرو الشراي لا يغمك ما يجري، فلا والله ما عن كراهة ولا بغض؛ ولكنه من عبث الملوك بمن يحبون من عبيدهم وخدمهم، وكان أبو الحسن البريدي يقول لي مثل هذا ويقول لي العروضي، وما بان لي أن أحداً كان أثر عنده مه. وكان إذا أراد عرص كتاب يسره أو غير ذلك أدخلنا جميعاً حتى يفرغ مما يريد ثم يدخل الباقيين، على أنه ما سلم أحد منهم في عبثته، غير أني كنت مخصوصاً بذلك في حضوري، ولقد ذكر يوماً بعض مشايخ أهل البيت من ولد الحسن عليه السلام فشمته فنظر بعض أصحابنا إلى بعض ثم ضحكوا وقمنا، فرجعت فقلت: يا سيدي يمسنى ما لا يمسن أحد مثله، وهؤلاء إن ضحكوا بين يديك فإنهم يضمرون ويحكون، ويحفظون الذي ذكره سيدنا أمه فلانة بنت فلان، وأبوه فلان بن فلان. فقال:

استغفر الله وقد أحسنت .

وكان أول تغيره أنه كان يعيب غناء ابن طرخان ويحكيه ويذمه ويخلف أنه لا يحسن شيئاً، وإن ذودة الزطى الطنبوري أحسن غناء منه ويدخل ذودة بحضرتنا وغير حضرتنا ويصله، فلم يزل به إلى أن أحضر ابن طرخان وغلب عليه واستحسن غناؤه، حتى صار يجلسه بين أيدينا ويصل بصلات ويخصه بها، ويلقى على ستارته الأصوات التي يستحسنها، ثم زاد الأمر حتى وصل الجلساء ليلة الفطر ولم يصلني ولا وصل إسحاق؛ فأما إسحاق فألقى نفسه على راغب وبكى، حتى أمر له بنصف ما أمر لكل واحد ممن وصله، وأما أنا فأمسكت، وشرب بعد ذلك فوهب لجميعهم معرقة معرقة، إلا لي وللبريدين، وكان يجفوهما كثيراً، ووهب لهم قدحاً قدحاً من البللور ولم يهب لي مثلهم، ووعدني أن أنسخ له أشياء ويصلني لها كعادته، وكان لا يعجبه أن لا ينظر في شيء إلا بخطي، فلما تغيبت وفرغت منه لم يعطني شيئاً، فعملت شعراً ودخلت في صبيحة الليلة التي أمر لهم فيها بما أمر مع الغداة فأنشدته:

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ تَرْبِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ	وَأَفْضَلِ النَّاسِ مَنْ عُجِمَ وَمَنْ عَرَبَ
وَمَنْ أَجَلَّ إِلَهُ النَّاسِ رُتِبَتُهُ	حَتَّى عَلَا وَهَوَى الْأَمْلَاكُ فِي صَبَبِ
قَدْ كَانَ لِي مَوْعِدٌ فِي النَّسْخِ لَمْ أَرَهُ	وَفَاتَنِي الْقَدْحُ الْمُخْفُوفُ بِالطَّرَبِ
وَحَارَ صَخْبِي دُنِي طَيْبَ مَعْرِقَةٍ	لِيَأْسُهَا أَفْخَرُ الْأَنْسَابِ وَالْحَسَبِ
وَلَيْلَةُ الْفَطْرِ أَبَقْتُ لِي حَزَارَتُهَا	نَارًا تَرَامِي عَلَى الْأَحْشَاءِ بِاللَّهَبِ
فَجَارَنِي بِرُّ مَوْلَى كَانَ يَبْدَأُنِي	كَأَنِّي نَاقِصٌ فِي رُتْبَةِ الْأَدَبِ
أَلَمْ يَبِ طَيْفٌ جِرْمَانٍ فَأَرَفَنِي	فَيْتٌ مُعْتَقًا لِلَّهِمَّ وَالْكُورِ
هَذَا عَلَى خِدْمَةِ مَا دُمَّ سَالِفُهَا	وَدَوْلَةٍ لِي فِيهَا أَوْكَدُ السَّبَبِ

وَأَنَا نُقْبَاءُ شَاعَ نَضْرُهُمْ
 وَيَوْمَ مَرَوَانَ أفرَدْنَا بِمَشْهَدِهِ
 مَقَالَةً تُورِدُ الْأَخْبَارُ صِحَّتها
 إِنْ كَانَ ذَلِكَ مَرْحًا مِنْ إِمَامٍ هَدَى
 وَمَسُوفَ بِأَيِّ سَرِيْعًا مِنْهُ لِي عَوْضُ
 فَالْعَيْشُ إِنْ كَانَ هَذَا عَنْ حَبِيٍّ رِضًا
 رَأَيْتُ وَجْهَ الرِّضَا أَعْلَى لَطَائِبِهِ
 لَا تَجْعَلَنِّي نَبِيًّا لِلْهُمُومِ فَقَدْ
 أَقُولُ قَوْلَ امْرِئٍ صَحَّتْ قَرِيحَتُهُمَا
 مُبْحَانًا مَنْ جَعَلَ الْأَدَابَ فِي عُصَبِ
 وَمِثْلُ شَكْوَى حَكِيمٍ عَضَّهُ زَمَنُ
 أَفْضِلْ عِيَانَكَ لَا تَجْمَخْ بِهِ طَلِبًا
 قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَعَبْ رَوَاجِلُهُ
 مَا أَضَعَبَ الْفَقْدَ لِلْعَادَاتِ مِنْ مَلِكِ
 لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ صَبْرًا عَنْ مَحَاسِنِهِ
 مَا لِي إِذَا لَمْ أَفْرَزْ مِنْهُ بِمَنْزِلَةٍ
 إِنِّي لِأَمْلُ مِنْهُ حُسْنَ عَظْفَتِهِ
 حَتَّى يُبَيِّضَ وَجْهِي مُذْهَبًا حَزَنِي
 كَعَادَةِ الدَّهْرِ فِي تَقْدِيمِهِ أَبَدًا
 نَلْقَى أَعَادِيكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ
 وَالْفَخْرِ فِيهِ بِنَصْرِ السَّادَةِ التُّجَبِ
 مَوْجُودَةٌ فِي رِوَايَاتٍ وَفِي كُتُبِ
 فَجَبْنَا هُوَ مِنْ مَرْحٍ وَمِنْ لَعِبِ
 كَسَمَا أَنَاهُمْ بِلَا كَدٍ وَلَا تَعَبِ
 وَالْمَوْتُ إِنْ كَانَ كُلُّ الْمَوْتِ عَنْ غَضَبِ
 مِنَ الصَّلَاتِ إِذَا تُوبِعْنَ وَالرُّتَبِ
 تَرَدَّدَ الظَّنُّ بَيْنَ الرَّغْبِ وَالرَّهْبِ
 مَا زَالَ فِي الدَّهْرِ ذَا كَدْحٍ وَذَا دَابِ
 حَطًّا وَصَبْرًا غَيْظًا عَلَى عُصَبِ
 كَمَا اشْتَكَى غَارِبٌ مِنْ عَضَّةِ القَتَبِ
 فَلَا وَعَيْشِكَ مَا الْأَرْزَاقُ بِالطَّلَبِ
 وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ مَنْ لَمْ يُبْذَرْ مِنْ تَعَبِ
 تَقْدِيمُهُ فِي العَطَايَا أَشْرَفُ الرُّتَبِ
 وَنَشْرَهَا فِي الْوَرَى أَمْعَنُ فِي الْمَهْرِبِ
 وَعَوْدِهِ بِالرِّضَا فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبِ
 فَالْحِظْ مُقْتَسِمًا وَالدَّهْرُ ذُو عُقَبِ
 بِالْبَدْلِ لِلْفَيْضَةِ الْبَيْضَاءِ وَالدَّهَبِ
 رَضَعْتُ مِنْهُ بَدْرٌ طَيِّبِ الحَلَبِ

فَقَدْ سَبَقْتُ بِمَدْحٍ فِيهِ فُرْتُ بِهِ
 قَانَسَمَعَ لِمَدْحٍ يَلْدُ السَّمْعَ مُنْهِدُهُ
 صِدْقٍ إِذَا مَدِحَ الْأَمْلَاكُ بِالْكَذِبِ
 مُثَبَّةً لَفْظُهُ فِي حُسْنِ مَذْهَبِهِ
 لَا تَجْعَلُ الرَّأْسَ فِي الْأَشْعَارِ كَالذَّنْبِ
 يَا مَنْ يُجْمَلُ ذَنْبَ الرَّاحِ شَارِبَهَا
 يَلْفِظُ شِعْرَ بِنَارِ الْحُسْنِ مُلْتَهَبِ
 لَا وَالَّذِي أَنْتَ مِنْهُ نِعْمَةٌ مَلَأَتْ
 أَقْبَلُ بِوَجْهِ الرُّضْصِ فِي سَاعَةِ الْغَضَبِ
 مَا فِي عَيْبِكَ إِنْ قَتَسْتَ أَمْرَهُمْ
 عُرْضُ الْبِلَادِ وَحَلَّتْ حَبُوءَةُ النَّوَبِ
 أَقْبَلُ مِنِّْي فِي رِزْقِي وَفِي نَسْبِي

يا من يحمل ذنب الراح، هو بيت له من أبيات كانت تعجبه، فضمنت أنا هذا البيت ومدحته على وزن الأبيات وقافيتها.

ومن ذلك ما ظهر منه في آخر أيامه عند موت زيرك القاهري، ثم عرف حالة ما خلف، فقال: ارفعوه إلى فلان يتصدق به، فلما رأى فلان ذلك هاله واستعظمه، فوجه إليه ما أحسن أن أمس شيئاً من هذا دون أن تراه، فوجه إليه أنا أعلم به منك، فبعه وتصدق بثمانه. فوجه إليه: هذا ليس لمثله مشترٍ إلا أمير المؤمنين أو الملوك من عبيده، فقال: بعه وتصدق بثمانه عنه ولا تراجعني. فقال لي بعض الجلساء - وقد حدثنا الخدم بهذا -: أترأه يأمل اجتماعاً معه في الآخرة حتى يخدمه! فقلت: له حسبك من الكلام في هذا. فقال: والله ما تكلمت حتى أبلغ مني وزعم الخدم أنه خلف عيناً وورقاً وطيباً وجواهر وبللوراً وثياباً ودواب وسروجاً ومناطق بقيمة مائة وخمسين ألف دينار، فما أخذ منها إلى العين والورق وكانا أقله.